حكايات وقصص قصيرة

أيها السرمَديُّ لا تقاوم الصحراء

محمد المنصور الشقحاء

نادي حائل الأدبي الثقافي

ح النادي الأدبي الثقافي في حائل، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشقحاء، محمد المنصور
أيها السرمدي لا تقاوم الصحراء. / محمد المنصور الشقحاء.- حائل، ١٤٣٨هـ
١٢٨ ص؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك: ١ - ٠ - ٩٠٨٦٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - القصص القصيرة العربية - السعودية أ - العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٣٨/١١٦٨
رقم الإيداع: ١٤٣٨/١١٦٨
ردمك: ٦ - ٧٢٧٢ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض
المملكة العربية السعودية
ص. ب: ٧٠٣ / الرمز البريدي: ١١٤٢١
هاتف: ٤٧٠٨٥٢٩ ، فاكس: ٤٧٠٨٥٤٥
الموقع الإلكتروني: www.almufradat.com
البريد الإلكتروني: almufradat@gmail.com

النادي الأدبي الثقافي بحائل
حائل - ص. ب: ٢٨٦٥، الرمز البريدي: ٨١٤٦١
هاتف: ٠١٦/٥٤٣٦٤١٨ - فاكس: ٠١٦/٥٤٣٠٩٤٤
www.adabihail.net

لوحة الغلاف إهداء من:
الفنان التشكيلي **ناصر الموسى**
للتواصل مع الفنان:
naser.almusa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة
١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجميلة

في لحظة شغف، قالت بحنان: ليس من العدل أن تغضب منه، عندما ارتمت بجواره على مقعد سيارة الأجرة، وقد صممت كشف المسلح بالأخلاقيات الصارمة والعاطفة الرزينة.&

استشارة

بعد ساعة من جلوسنا، نهضت قائلة والثانية تبتسم: تعال أستشرك فيما جئت من أجله، ثم تركتني في الفراش لتأتي الثانية، ولما عدنا لغرفة الجلوس قامت ابنتها ذات السنوات العشر وأمسكت بكفي لتسحبني لغرفتها.&

جرح

جاء اللقاء مصادفة إثر قوله: لن تخسري إذا جرى بيننا نقاش صغير ممتع، فصممت أن تكون زميلتها معها، وهي تجلس خلف مكتبها في اليوم الثالث، تذكرت أن صديقتها من بدأ الحوار شعرت بجرح، ولما بحثت عنه عرفت أنه رحل.&

حدث في حي الشرقية

من خلال انتظاره الطويل داخل السيارة لسيده، عرف تحركاتها معلمة تسكن مع والدتها ووالدها رجل الأعمال.

من خلال إحدى سيدات منزل سيده، تسلل ذات ليله عبر السطح، ومع توغله وجدها ترقص على موسيقى هادئة في غرفتها، لما لمحته توقفت لم تقاوم اقترابه.

بعد إقناعها والدها أصبح سائقها الخاص.&

لم يعد بالبيت احد . !

في الليلة الأخيرة من ندوة في حراك عام بالرياض، وبعد الانتهاء من ورقتي والنقاش حولها، جاءت مرحبة بعد لقاء وحيد، إثر حوار بالهاتف في قضايا نشترك في حمل همها.

ومعه عرفت أنها الآن حامل بأهدافها ذات التداعيات الواعية، ولم تستطع مع عسف الأيام أن تحقق أي نقطة من أفكارها، وفي الفندق حيث أقيم تشاركنا فنجان قهوة، ورحبت بدعوتها لمواصلة الحوار بمنزلها.

لم يكن بالبيت أحد، الهدوء يخيم على كل شيء، وفي الثانية بعد منتصف الليل كنت أرقد في غرفة الضيوف وهي في غرفتها حيث أن لديها عملاً في الصباح ومكلفة بدراسة مشروع لم تفصح عنه، وإن وعدتني بأخذ رأي حوله.

في العاشرة صباحا تنبهت الغريزة المنذرة بالخطر على حركة وأصوات مختلطة، فتح باب الغرفة دخل رجل شرطة وثلاثة رجال، كنت بملابسي الداخلية في الفراش (فانلة علاقي بيضاء وسروال قصير)، لبست ثوبي وتم سحبي من ذراعي لصالة الجلوس.

هناك وجدت رجلا جالساً على أحد المقاعد، وامرأتين متحجبتين تقفان في زاوية الصالة، انصرف عني الجميع وقد أشار أحدهم للمرأتين، وسبقهما مع الشرطي إلى درج الصعود للدور الأول، ليعود الرجل وهمس في أذن البقية بشيء معه الأنظار أرعبتني.

فجأة دخل البيت مجموعة أخرى، بملابس طبية ومعهم نقالة سبقهم أحد الموجودين إلى الدرج، وبعد انتظار مرهق هبط الجميع بجثة صاحبة الدار، وفي مركز الشرطة وقعت محضر مداهمة أمنية، على ضوء تبليغ عن جريمة أخلاقية.

في اليوم الثالث من التوقيف علمت أن الوفاة طبيعية، كما عرفت أنها على خصام مع زوجها الذي هجر البيت منذ خمس سنوات لخلاف مالي، وأن ابنها يعمل بسفارة في أوربا وابنتها بسبب زوجها ابن عمها؛ مقاطعة أمها لنشاطها الاجتماعي، وأن السائق الذي أوصلنا للمنزل تجسس علينا وهو من بلغ زوج الابنة.

وأنا أنتظر صعود الطائرة عائدا للطائف، تذكرت لقاء جمعنا منذ عشر سنوات في شاليه بمتنزه على البحر في جدة، شاركنا العشاء شقيقتها الأصغر، بينما ضوء القمر يلامس موج البحر الهادئ، ويقاطع أحاديثنا.&&

التيه

قاومت الحصار بزواجها، مما أتاح لها تحقيق أهدافها، ولما مات عاتبها أحد أولادها فعادت للسجن، تندب عمرها.&

ببساطة

كتلة ترتعد من شدة البرد كنت، ولما نفخ برقة على الرماد المتراكم، جاء الارتعاد بشكل أعمق وأقوى، غمغمت: لكن هذا مثل حياتي مجرد فعل زائف.&

سر العين

١

في اليوم الثالث على وفاته، طلبت من أسامة أصغر أولادها أخذها إلى قبر أبيه حتى تقرأ الفاتحة عليه، لما وقف ابنها بجوارها أمام القبر طلبت منه انتظارها في السيارة، جثت على ركبتيها ونادت الجدت ثم قالت: فيصل وفاتن وحمد عيالك وأسامة وميرفت ولديٍ.

١ - ٢

كنت قانعة بما كتب لي الله، لم احتج على غيابك المتكرر والطويل، ولم أعد أناقش رفضك أن أتوظف وأنا أحمل شهادة جامعية في خدمة المجتمع أو أواصل دراستي الجامعية.

٢ - ٣

لعلمك أنا الأديبة سر العين التي كتبت روايتين ومجموعة قصص قصيرة وديوان شعر، هذا سري وعالمي جنتي وناري الذي عشته بعيدا عنك معك، أبوح به الآن وأسامحك على كل ما كان.

- ٤ -

وهي في السيارة عائدة للمنزل سرح بها الخيال، فيصل مهندس وعنده ابنة في الرابعة من عمرها، وفاتن معلمة لغة انجليزية بمدرسة ثانوية وعندها طفل في الثانية من العمر، وحمد فضل العمل الدبلوماسي فالتحق بوزارة الخارجية برجاء العمل في إحدى السفارات، وأسامة في المستوى الأول جامعة كلية الطب، وميرفت طالبة في الثاني ثانوي.

- ٥ -

لما دخلت الدار شعرت بأنفاس الجميع تجاهلت عيونهم، صعدت لغرفتها وبدلت ملابسها ثم اندمجت مع الجميع في الحوار والنقاش واستقبال المتأخرين من المعزين.

- ٦ -

هو مدير مكتب رجل أعمال كون ثروته في القاهرة، ولما وجد شركاء استقر في الرياض، له مراكز تجارية في أنحاء العالم، يصطحب مدير المكتب في رحلاته وغالبا يسافر لمتابعة إنجاز بعض الصفقات التجارية، ومن خلال النسب المئوية المربحة من الصفقات كون رصيده المالي والاقتصادي في مبان سكنية

استثمارية، عازلا أسرته التي أبعدها عن كل شيء مهيئا الراحة لكل فرد وان كانت كفه مغلولة في وجه مطالبهم.

- ٧

عشقت القلم وتوسدت الورقة فنزف قلبها الدم حروفا وكلمات، وذات مساء كان صوته عبر الهاتف اعتذر عن الخطأ وشجعته على الحديث، مما كون نصها القصصي الأول لما توقف صوته.

- ٨

ومع ابتداء النص الثاني وهي تتجول في إحدى الأسواق لمحته يتابعها، لم تنفعل ولم تشعره بالترحيب، ووقف بجانبها أمام المحاسب هو حامل مقتنياته وهي أيضا تحمل مقتنياتها، لفت نظر المحاسبة التشابه بين المقتنيات فنقلت نظرها بين الاثنين الصامتين وافتر وجهها عن ابتسامة، معها ضحك الاثنان.

- ٩

وفي طريق الاثنين لمواقف السيارات اتفقا على لقاء آخر، جاء اللقاء حاملا زخم انفعال تراكم كلمات وسطور النص الثاني

الذي تطاول مع الأيام من قصة قصيرة إلى رواية، تبادلا السرد حتى الصفحة المائة والثمانين الموشح بالنهاية ومعه خلفت أسامة.

- ١٠

عندها جاء اسم سر العين، وتواصلت عبر الهاتف مع دار نشر لبنانية فكانت روايتها ومجموعتها القصصية حديث بعض الصفحات الثقافية، وفي الأيام والشهور التالية كانت تتابع أثر وعيها الذي بثته داخل الصفحات منتشية إنها قالت شيئا من حزنها حتى تتجاوز الضياع الذي تكون في داخلها.

- ١١

وجاءت روايتها الثانية أحداثها لم تتجاوز سور المنزل وسكانه وزائريه، خلال أربع وعشرين ساعة في مائتين وأربعين صفحة، كل عشر صفحات غنية بأحداث ساعة كاملة، فيها ثوان في أماكن متفرقة لاتصال هاتفي من الأب يسأل كما هي العادة عن الوضع، جاء البناء الفني والمعماري للرواية بعد طبعها مثار قلق النقاد.

- ١٢

ولما تخرج فيصل من الجامعة والتحق بالعمل كان التفكير في زوجة له، وأثناء البحث لفت نظرها وهي خارجة من منزل إحدى الأسر بعد مشاهدة ابنتها وتقارب الصفات المطلوبة، شاب يقف بجوار سيارتها أثار الرعشة في جسدها.

- ١٣

قال السائق: ماما السيارة بنشر. فعلا كانت إحدى عجلات السيارة مفرغة من الهواء هنا أبدى الشاب استعداده لتوصيلها لمنزلها، حدقت فيه مبتسمة وسبقها إلى سيارته.

- ١٤

في الطريق عرفت أنه شاعر وأن له ديوانا مطبوعا، شاركته الحديث ولمست أن إحدى فتيات المنزل الذي زارته سكنت قلبه، وهي تترجل من السيارة قدم لها نسخة من ديوانه، ولما قلبته وهي تتابع أخبار التلفزيون في صالة الجلوس جاء رقم هاتفه.

- ١٥

بعد عشر صفحات من الديوان هاتفته كان ينتظرها فأخذت تناقشه في النص الذي وصلته، كانت تخريجاتها لبناء النص

حارقة معه أرسل لها قبله عبر الهاتف، ومع تكرر الاتصال أصبحت شاعرة لم تعرض نصوصها عليه وإن وجدت فيه التمرد الذي سكن بعد إفراغها لجزء من حزنها فتجاوزت أزمة النقص وأيقظ حواس أرادت لها الكمون.

- ١٦

وهي في الفراش والعتمة تلفها وكل شيء في البيت ساكن، همهمت: أنا من لحم ودم ولمعت في الظلام عيناها، فأشعلت نور الغرفة تفقدت بقايا جسدها أمام مرآة دولاب الملابس. دخلت المطبخ وتجرعت كأس ماء من البرادة ثم جلست أمام التلفزيون، وهي تتابع أغنية صاخبة من فلم أجنبي، اتصلت.

قال: كنت أنتظرك فتراكمت القصائد وخلفت ميرفت، التي مع انتقالها من المرحلة الابتدائية إلى المتوسطة جاء طبع ديوان الشعر.

٣ - ١٧

وحيدة تصرفت ومع من حولي انشغلت من خلال الظاهر بأسرتي، وجاء موت زوجي لدمج الباطن بالظاهر، عشر سنوات ولم أصل لنقطة التقاء وإن توسعت دائرة الأصدقاء من خلال

عضويتي بمركز اجتماعي نشاط ثقافي ورياضي غني بلحظة تحد مع البعض في سباق ترفيهي نتجاوز الوحدة والضياع.

٤ - ١٨

وذات ليلة وأنا أجلس في فناء المنزل أتأمل الفضاء، وندفاً من السحب تقترب من القمر لحجب نوره، جاءت ابنتي فاتن لم تقاطع تأملي، ووضعت كفها على كفي المنبسطة على متكئ المقعد وهمست: وين وصلت سر العين.

٥ - ١٩

قامت من مقعدها جلست في حضني، طوقتها بذراعي أشم أنفاسها وانساب دمعي؛ فأخذت ابكي بصوت مرتفع.&

قواقع الجزر المهجورة

أثناء رحلة استجمام تداخل فيه العمل؛ جاءت إقامتي في منزل أسرة أحد أفرادها مستشار للشركة التي أعمل فيها بالرياض، وبعد حفل بمناسبة إطلاق منتج جديد من شركة تنفذ بعض عقود عمل لشركتنا في مجال التجارة.

اكتشفت في ساعة متأخرة من النهار أن من تشاركني الفراش صديقة مضيفي، شعرت بالرعب ولما أحست بي رمقتني مبتسمة بوجهها الممتلئ المستدير وشعرها الأشقر المبعثر ثم غادرت الغرفة، اكتملت أيام الرحلة وعدت محملا بالحكايات، وبمشاريع استثمارية تحتاج إلى شركاء متضامنين لتنفيذها.

وبعد اجتماع بين القيادات كان نصيبي أربع مؤسسات، علي زيارتها ومعرفة إمكانية الاستفادة من خبرتها ومقدار استعدادها للشراكة، سكرتيرة مكتبي قامت بالاتصالات لتحديد مواعيد الزيارة، كما قام طاقم المكتب بعمل ملف عن نشاط كل مؤسسة، رئيسها تاريخها رأس مالها.

في المؤسسة الثانية وأنا أتجه لمكتب رئيس مجلس الإدارة، وجدت في مكتب السكرتارية صديقة مضيفي في رحلة

الاستجمام تنتظر قدومي، وبعد اتصال هاتفي وقفت مبتسمة ثم سبقتني إلى فتح باب جانبي.

اقتربت من مديرة المؤسسة الجالسة خلف مكتبها، ونظرات ثلاثة يقعدون حول طاولة اجتماعات صغيرة في زاوية الغرفة تتابعني، وبعد الترحيب سبقتني المديرة لطاولة الاجتماعات، بينما الموظفة غادرت الغرفة.

جلسنا متقابلين وانطلق الحوار الذي طال وقد تقاربت الأهداف وان تباينت الأفكار، وبعد ثلاث ساعات من النقاش غادر الثلاثة المكان، ولمحتها وأنا أهم بالقيام تدعك جبينها وتضغط على مؤخرة رقبتها، عرفت أنه إرهاق الجلسة وألم يعاودها من وقت لآخر.

اتجهت للمقعد الذي تجلس عليه وهي تتابعني بنظرها، لما وقفت بجوارها أخذت أستفسر عن حالتها، وبغير شعور كانت كفي رابضة على مؤخرة الرقبة وأصابعي تتحسس نبض العروق تلاحق مكان الألم، استرخت مستسلمة لنتنبه على قرع الباب ابتعدت، كانت الموظفة ومعها آخر عرفت أنه السكرتير.

بعد أيام ثلاثة وقد اكتملت طباعة التقرير الذي أعددته عن الزيارة، وملاحظة مجلس إدارة شركتي ونقاط التعاون وتوضيح أهداف التعاون، اتصلت لبعثه مع مندوب الشركة فعرفت أنها

مسافرة فطلبت رقم هاتفها النقال وبريدها الالكتروني.

جاء صوتها تخبرني أنها في زيارة عائلية، وتنتظر التقرير عبر البريد الالكتروني، وحرصت أن أسأل عن الإرهاق وألم رقبتها فجلجلت ضحكتها وهي تودعني، وأنا أتناول الغداء مع ثلة من أصحاب الأعمال بمطعم الفندق الذي يقيمون فيه.

كان اتصالها صوتها حولي؛ تلفت تجلس وحيدة على طاولة صغيرة خلف نافورة المطعم ألملونة، نهضت واتجهت نحوها عرفت أنها في خلوة مع نفسها بالفندق لدراسة مشروع تسعى شركتها إلى التقدم له.

متزوجة ولها طفل في العاشرة، والشركة إرث من والدها المتوفى منذ ثلاث سنوات، رجل الأعمال المهاجر إلى أمريكا بعد تقاعده من الحكومة التي جنسته بعد التعاقد معه خمس سنوات كمهندس مدني، تدرج في العمل حتى أصبح وكيلا للوزير في الشأن الهندسي، أما زوجها فله نشاطه الخاص.

في غرفتها بالفندق تمددت في الفراش وأخذت أدلك رقبتها، ثم انسابت كفي تدعك كتفيها هابطة عبر فقرات ظهرها، ولما وصلت المنتصف تحركت فابتعدت وتسمرت واقفا، جلست ورفعت رأسها محدقة لتطل ابتسامة شهوانية لامرأة شبقة، جلست في المقعد المقابل، نهضت ترتدي بيجاما أفغانية

حريرية مشجرة فضفاضة سروال طويل وقميص إلى الركبة.

وقفت خلفي، التقى النظر في المرآة ثم انشغلنا بمتابعة وميض ضوء طائرة عابرة في سماء الرياض عبر نافذة الغرفة، طوقتها بذراعي فانتصب صدرها في حركة بطيئة وقربت وجهي من وجهها، عانقت شفتيها حابسا أنفاسي في قبلة طويلة، شيء ما تشكل لم أعد أنا، كنت آخر يعانق نفسه بنهم ممسوسا يسكنني شيطان، اقتربنا من النافذة سحبنا حبل الستارة فاختفت النافذة، لم نعد ملزمين بأي شيء، وحيدان تعصف بنا الرياح من كل اتجاه، وفي الظلام سقطنا في هاوية كانت الشمس في قعرها؛ وأشعتها كما أطراف إخطبوط تسحبنا نحو اللهب.&

النفس الضالة

بعد سهرة صاخبة بالمرح وفي الواحدة بعد الظهر، الهدوء يخيم على المنزل إنما في داخل الرجل العجوز الذي تجاوز الستين من العمر الذي هو أنا، قلق فقد جربته عند وفاة زوجتي الأولى ورحيل ابني.

هذه الثانية من أقارب الراحلة، ارتبطت بها وأنا أعرف أن لها خليلاً، مع الوقت اعتدته لم أشعر بالذنب؛ ولم أغضب كما أنه وأنها يريان تصرفهما، غذاء روحياً لجسدي الذي فقد حيويته.

البارحة جاء العشيق ومعه أحد الأصدقاء، طلب منها معاشرته فرفضت، ولما رجاني أن أحدثها تواصل تمنعها ولما شعرت بغضبي استسلمت، لكن أين هي.

على طاولة الأكل بالمطبخ، كانت الطاولة فارغة على غير العادة، وفي وسطها ورقة فوقها زهرة نرجس صفراء من أزهار الفناء الخلفي للمنزل، في أعلى الورقة البيضاء سطر واحد وبدون توقع، بموافقتك أن أعاشر صديقاً خدعني أقول وداعا.&

أيها السرمَديٌ لا تقاوم الصحراء

هنا عرف رسالة الغناء في الأودية، بعد تجمد أطرافه ومقاومته حتى يقول كلمته؛ ولما باح همه تلفت حوله فلم يجد أحداً، وطريق من الزفت الأسود يمتد شمالاً على مد النظر.&

ضل خلف الزجاج

جاءت موافقتي أن تكون زوجه فتم كل شيء، وفي غرفة الفندق تدفق العسل مع ضجيج الشارع، في اليوم الثالث لم أجدها، تمددت في الفراش مترقبا حضورها؛ وجاء صوت أمي عبر الهاتف: إنها هجرتني وترغب في الطلاق.&

لهد

جاءت ورقتي في اللقاء عن الصناعة والتصنع، وجاء تعليقها عن الخيال والتخيل وواصل بعضهم الحوار على طاولة العشاء وفي زاوية قاعة المناسبات بالفندق استأذنت الجلوس حتى أرتب سفري مع العلاقات بالفندق، وأمام باب المصعد وجدتها.

وعندما توقف بالدور الثالث والثلاثين قالت: غرفتي بنهاية الممر. وأنا أفتح باب الغرفة دعوتها لمواصلة النقاش رحبت، ولما رن الهاتف تذكرتها كتبت اسمها في إهداء نسخة من كتابي الجديد، قدمته لموظف الاستقبال الذي أنكر وجودها.&

ولادة أخرى تستدعي البكاء

بسبب سفر والدتي للعلاج في ألمانيا ومرافقة والدي لها التحقت وأنا في المرحلة المتوسطة الصف الثاني بمدرسة أهلية توفر وسائط نقل، كان ذلك في الأسبوع الثالث من بداية الفصل الدراسي الأول. في اليوم الرابع وأنا أغادر الحافلة قدم لي السائق وردة صفراء وهو يرحب بي، ولامست كفه كتفي مطبطبة.

شعرت بحرج من مرافقاتي وهن يصرخن ابتهاجا وإن كانت نصف المقاعد خالية، تكرر إهداء الوردة وملامسة كتفي إنما في أوقات كنت آخر راكبة معه، أخذت أنا أيضا أهدي السائق شيئا مما أقتنيه من مقصف المدرسة أو مما أقتنيه من بقالة الحي، كما تعودت إنزال كفه لملامسة مؤخرتي.

رجعت أمي سالمة وعاد والدي وتناقشت أمي وأبي معي في العودة لمدرستي الحكومية المجاورة لمنزلنا، طلبت التريث حتى نهاية العام الدراسي، فقد اعتدت الرائحة بينما هو خوف غريب تلبسني ملامحه وجوه بعض زميلاتي بالمدرسة وشغب رفيقاتي بالحافلة.

رائحة السائق اليوم غيرت سكوني، وأنا أشتمها في جسد

السباك الذي جاء لتسليك السدد في أنابيب مجلا المطبخ، وأنا أشرح له المشكلة فزوجي الذي اتصل في الطريق، هو من دفعني إلى فتح باب الشقة واستقباله بعد أن ارتدي العباءة ريثما يصل.

تفقد السباك التوصيلات والمحابس، ثم خرج من المطبخ، وعند باب الشقة أخذ يشرح العطل وأجرته واحتياجه من أدوات؛ الرائحة تنفذ إلى أعماقي وتنبهت على كفه بين وقت وآخر ومع انفعاله تلامس كتفي، وهو يفتح باب الشقة الموارب للمغادرة كان زوجي يصعد الدرج، تسمرت في مكاني لمتابعة باقي التفاصيل حتى النهاية.

على العشاء قال زوجي انه اتفق مع السباك بدء العمل بعد صلاة الظهر، حيث يحاول أخذ إذن من عمله، كنت أهز رأسي فأنا سكرا عبر سرداب لحالة بالغة الشفافية من رائحة أغرقت روحي بنشوة غريبة من زمن لم أعد أتذكره.

تنبهت على جرس الباب، كان السباك، غطيت جسدي بالعباءة؛ ورأسي بالحجاب وركضت نحو الباب، كان السباك ومعه آخر بعد وضع أدواته بالمطبخ عاد ولوح بكفه وهو يبتسم، تركت الاثنين يمارسان عملهما وأغلقت باب غرفتي بالمفتاح وبقيت جالسة وفي أعماقي هدوء وسكينة مبالغ فيهما، فأنا بكامل حجابي، ولما سمعت صوت زوجي ترقبت باب الغرفة يفتح ولم

يطل تفكيري جاء صوت زوجي خلفه وأصابعه تقرع.

بعد انتظار تحققت الوظيفة ومعها أدرك زوجي أهميتي، وأبهجتني دموع الفرح التي انبثقت في وجه أمي وهي تحتضنني، ومعها وبعد عشاء أقررناه مجموعة من الموظفات تكريما لمديرة قسمنا المتقاعدة، حشرني ثلاث من الزميلات بالقعود في المقعد الأمامي من سيارة إحداهن بجوار السائق كفتاة في مكان عام التصقت بالجدار حابسة أنفاسها، ونحن نتحرك تسللت رائحة السائق إلى أنفي لم تكن بزهو رائحة سائق الحافلة أو صخب رائحة السباك التي شعرت معها أن ملابسي غارقة في البلل، إنما خالطها بعض العطر الذي أستنشقه في زميلتي صاحبة السيارة القابعة في الخلف.

تجاوزت النسيان كنت أركض بإرادة طيبه وروح خلاقة، متجاوزة الحاشية والحرس وقد شعشع العمر حتى الثمالة، في سهل اختلطت أشجاره العملاقة بأزهار برية صفراء وعشب تمدد عبر الشقوق الصخرية، بينما الضباب يفتح عبر جداره الأبيض طريقاً ماطراً بحبات لؤلؤ تنداح إذا لامست شعري فتنساح على وجهي.

شيء واحد ظل يلاحقني لصباح حلم احتضن حكاية من ألف ليلة وليلة، كف سائق الحافلة المدرسية العجوز وهي

تطبطب على كتفي، ثم تنزل عبر فقرات ظهري في سكون وهدوء لتلامس مؤخرتي وقد تخشب جسدي النحيل، وعندما يدب الخوف داخلي أتحرك فتنتصب الكف أمامي حاملة زهرة صفراء تؤكد وجودي.

هذا الشيء الذي انبثق من الماضي ورائحة عرق عمال المطعم ممن يخدم طاولتي جعلني أعتذر عن مرافقة زميلاتي في العودة، وتسللت إلى الشارع وهناك أخذت سيارة أجرة، وفي الطريق تسوقت وساعدني السائق في حمل باقي الأشياء إلى شقتي، تبعني إلى المطبخ واضعا الأشياء على طاولة الأكل وانتظر حتى دسست المشروبات في الثلاجة، لم يكن هناك أحد وهو يتحرك أمامي منسحباً جاشت مشاعر بداخلي لمستُ أن روحي تتعاطف معها، فراودني حلم لم أجد الشجاعة حتى أقتله لرفع نفسي عن التراب.

وأنا أغلق باب الشقة بالرتاج سمعت قرعا توقف حوار أفكاري اللامتناهية والتي سلبت مني الإحساس بالواقع، ولما واتتني الشجاعة فتحت الباب نسيت أني قد شنقت عباءتي على مشجب بغرفة التلفزيون وارتديت ملابس المنزل، وتناثر شعر رأسي وشيء من أصباغ مناسبة تمنح وجهي وشفتي بقايا ألق، وتوهج صدري عبر فتحة الثوب الحريري الأزرق الموشى

بخطوط الذهب، كانت محفظتي اليدوية بيد السائق تراجعت بخطوات خلفية، كنت على يقين أني وصلت. تقدم أغلق الباب، الرائحة تغرق الشقة بهالة نور، ولما استعدت ملامحي القلقة وأنا أودع انتظاري الذي لم يكن حزيناً. كنت مؤمنة بالخلاص، رحت أبكي بصوت مرتفع فقد حظيت وأنا أرتمي بين ذراعي الرائحة بحب كبير سكن جسدي.

كانت الرابعة صباحا عندما رن جرس هاتفي الجوال الذي توقف قبل أن أرد، ثم جاء جرس الرسائل شعرت برغبة شديدة في مشاهدتها وقد تكرر جرس الرسائل متصاعدا بعدد لم أحسبه كانت الرسائل زهوراً صفراء وطيوراً محلقة وفراشات فسفورية وقوس قزح.

انساب الهدوء إلى داخلي، وقد حملت الرسالة الأخيرة كلمات أعادت الرعشة لجسدي (رائحتك طيبة) رفعت مخدة الفراش حتى أدفن جهاز الهاتف تحتها لأجد زهرة نرجس صفراء.&

غضب

اشتعل مرجل الغضب في داخله، وهو يرى زوجته ووالدته تدافعان عن السائق الذي تأخر في إيصاله لمقر عمله يوم أمس لعطل أصاب سيارته وسجله رئيس القسم في بيان الغائبين؛ الزوجة جاء موقفها أن السائق قلص أيام غيابها في سجل العمل والأم قالت لقد أصبح أحد أفراد الأسرة وهو يكمل أي نقص في البيت، دخل غرفة السائق في غيابه بعد ثورته فوجد في البراد قارورة خمر منتصفه، تجرعها ونام في الفراش لما ولج السائق الغرفة وجده؛ حمله ودخل المنزل كانت الأم والزوجة بغرفة الجلوس تتابعان حلقة جديدة في التلفزيون من مسلسل كوري، قامت الزوجة وسارت أمام السائق وبغرفة النوم ساعدته على تمديد زوجها في الفراش.&

نقاط تحول دفعتني للتوقف

أنا:

كثر هي عجائب الحياة، بعد فقداني طفولتي وحرماني في شبابي من أمان لم أهتم بمعرفة سماته، جاء انتقالي من قريتنا إلى المدينة بناء على طلب أحد أقارب والدتي رجل أعمال بلغ الخمسين من العمر ولم يتزوج، لديه مكتبة للأدوات المدرسية ودار نشر للكتب وخدمات للطلاب، وهو يحاورني لمست أنه كان عشيق أمي، وأن موهبتي في الخط ورسم الطبيعة من أغراه بأن أكون نائبا له في المكتبة ودار النشر، ومسؤولاً مباشراً على خدمات الطلاب.

إيمان:

في الشهر الرابع جاءت إيمان طالبة في الصف الثاني ثانوي مع والدتها، وتكررت زياراتها باحثة عن ملخصات لبعض الدروس ووسائل إرشاد، معها جاء موعدنا الأول بعد مغرب أحد الأيام فكانت قبلتنا الأولى وعناقنا العفوي في عتمة بيت الدرج.

سعاد:

ولتأخذ شقيقتها الأكبر المعلمة سعاد جزءاً من وقتي في

مشاركتها خيارات الوسائل التي تساعدها في شرح دروسها وتوصيلها لطالباتها، سعاد زوجة عسكري في القوات البرية يكلف بمهام خارج الطائف وأحيانا في المشاركة بوفود عسكرية خارجية للتدريب وشراء أسلحة، وغارفا من منابعها ما يروي عطشي.

إيمان:

وسعاد تستعد للسفر لاحقة بزوجها الذي عين في السفارة بلندن، وأنا أرقد في فراشها وهي بمدرستها تكمل وثائقها، دخلت إيمان الغرفة لا أدري كيف انبثقت إنما أعرف أنها تتجهز للزواج نهاية الأسبوع بعد اجتيازها الثانوية، فتخطينا نشوة القبل والعناق.

أنا:

نسيت كل شيء برحيل إيمان وغياب سعاد واندمجت في العمل وأصبحت أمتلك نسبة مالية في رأس مال الدار، وفقدت أمي التي تعرضت لوعكة صحية لم تمهلها كثيرا، وكان نصيبي في إرثها غير مجز فلم أناقش إخوتي وهم من زوج آخر في هذا، وتطرقت أختي وأنا أتحدث عن حياتي المدنية، إلى زواجي وانتظار تكليفي لها بالبحث عن شريكة العمر.

إيمان:

ورن جرس هاتف مكتبي كانت إيمان تسأل عني وتخبرني

أن ابنها أكمل عامه الثاني، وتطلب مني مساعدة والدتها في استخراج صك من المحكمة توكل بموجبه خالها في إدارة وقف بمكة المكرمة لأسرتها. لقيت الأم في المحكمة مع ابنها وصديق له، ونحن نغادر لا أدري ماذا دفعني إلى أن أطلب منها مرافقتي حتى أوصلها للمنزل، لم يعترض الابن الذي انسحب مع صديقه.

أنا:

دخلت لم أقاوم طلبها الذي دعمته بكشف الغطاء وهي تقف في فتحة الباب فجاء وجهها وصوتها الخافت نداء تأمل، وفي غرفة الاستقبال تناولت مشروبا بارداً وتبادلنا الحوار، ثم خلعت العباءة ألمخاطة كما الثوب الرجالي الفضفاض، كانت بثوب النوم الأحمر الشفاف والقصير، ابتسمت وهي ترى اندهاشي، فوجدت معها ما كنت آخذه من ابنتها سعاد وما قدمته لي ابنتها إيمان.

فضة:

وأختي تلاحقني عبر الهاتف لأخذ موافقتي على الزواج، ذاكرة اسم شقيقة زوجها الطالبة الجامعية المتخرجة حديثا والتي تنتظر الوظيفة بين وقت وآخر، كنت وفق طلب من السيدة فضة والدة إيمان ووالدة سعاد في منزل أختها الأرملة بدرية المسافرة

مع ولديها بعد انتهاء أيام الحداد إلى جدة، لمناقشة إرثها مع شقيق زوجها الوصي على الأبناء والمكلف بحصر التركة.

إيمان:

تخرج سمير شقيق إيمان من الثانوية العامة والتحق بجامعة الملك عبد العزيز بجده التي استقرت بها شقيقته إيمان بعد أربع سنوات من التنقل مع زوجها، في مدن المنطقة الشرقية وفي المنطقة الشمالية، وبعد شهر لحقته أمه.

بدرية:

جاءت بدرية خالة إيمان مع ابنها الصغير الطالب بالمرحلة الابتدائية لشراء بعض المستلزمات المدرسية عرفتها من الطفل المرافق، سألتها عن أختها فضة وعن سعاد وإيمان، جاء صوتها مرتبكا وإجابتها مبعثرة إنما شعرت أن فيها شيئاً يخصني، وهي تحاسب وقبل أن تغادر أرفقت بفاتورة الحساب بطاقة تحمل اسمي ورقم هاتفي.

بدرية:

عرفت منها أن سعاد تخلت عن زوجها واختفت في لندن، ويقال أنها رافقت عشيقها إلى باريس، وأن زوجها تقاعد بعد اعتذاره عن مواصلة العمل، عاد للطائف ويملك مزرعة لإنتاج الألبان، وتطرقت لابنيها وفشل ابنها الكبير الدراسي وإهماله

متابعة الشركة التي أسسها زوجها باسمها للمقاولات.

بدرية:

دعوتها للعشاء ثم جلسنا بمقعد في حديقة شهار ولما طال حديثنا دعتني لإكمال النقاش في منزلها، فولداها في زيارة عائلية لعمهم في جدة تريثت في السيارة حتى فتحت الباب ودخلت ثم جاءت ملوحة بالدخول ومع ارتفاع أذان الفجر توقفنا عن النقاش.

أنا:

أقنعت بدرية ولديها أن زواجها بي لن يؤثر على حياتهم، أو يعكر علاقتهم بأسرة والدهم وأني سوف أرعى مصالحهم وأحمي والدتهم من غوائل الزمن، جاء عقد القران مختصرا عبر عشاء معها ومع ولديها بمطعم حديقة الملك فهد، في الليلة الأولى نمت بغرفة الضيوف، وجاء الغداء عائليا تلاه حوار حول الدراسة والعمل ونقاش لبعض المطالب ودوري في البيت.&

السلوان

هجر مدينته التي ولد فيها في اليوم الثاني لمغادرته السجن تاركا زوجته، وقد تخلى عن لقب الأسرة قاتل حتى أصبح يشار له كرجل ساهم في تنمية مجتمعه، وهو يقلب الصحف صفعته صورة ابنه الذي جاء ضمن العشرة الأوائل في الثانوية العامة.

قرر العودة للمشاركة في الفرح جلس في الصف الأخير بمسرح المدرسة؛ لم يكن هناك أحد يرافق ابنه وهو يستلم شهادة التكريم، وأيضا لم يكن معه أحدُ وهو يسير في الشارع؛ تابعه حتى ولج المنزل القديم.

وهو مع أفكاره المتثالة بغرفته في الفندق قرر الزيارة بعد صلاة المغرب؛ لما قرع الباب جاءه صوت أنثى يعرفه (آهلا علي) ولما شرعت الباب قالت:ابنك محمد يتابع درس يوم الاثنين بالمسجد.&

رفقة

جاء حضوري للرياض لنص نشر في صحيفة يومية واقتنع المحقق بما قلت ووقعني على إقرار أن أكتب مايفهم، وجاء اتصالها وأنا أفكر بملابسات القضية في غرفتي بالفندق تعرف كل شيء عني وأنا لا أعرفها.

في مطعم الفندق التقينا كانت معها أخرى ونحن نشرب الشاي رن هاتفها وقفت ورمقت مرافقتها واختفت، طال حديث المرافقة وأزف موعد عودتي للطائف لمحت حقيبتي بجوار طاولة موظف الاستقبال، نهضت أكمل إجراء إغلاق حسابي شعرت بمراقبة المرافقة لوحت بكفي مطمئنا.

ودخل ثلاثة بثياب بيضاء يرافقهم رجلا شرطة تلفت قائدهم حوله ثم اتجه للمطعم، نبهني الموظف أن سيارة الأجرة التي سوف تقلني للمطار تنتظرني، سرت خلف عامل الفندق الذي يحمل حقيبتي.&

اليأس

هجـرني وتـرك أولاده وهـي هجرتـك وأخـذت أولادهـا، فجئت أبحث عن الدفء عندك، في اليوم الرابع عرفت أنها كانت تتسلل عبر الجدار.&

الجذمور

هـي المركـز وأنـا الهـامش، ولم أقـاوم حركـة الإقـصاء والاحتواء وقد تلفعت عباءة النزعة النخبوية، ليصدمني خطاب مضاد مصدره مركز تعددت هوامشه.&

المتأنقة

جاء اللقاء الأول صدفة، كانت برفق والدتها التي سألت عن مكتب الموظف الذي تراجع في إدارتنا، سرت مع الاثنتين ووقفت معهما أمام مكتب زميل العمل وعدت لمكتبي، وبعد نصف ساعة كانت وأمها أمامي وابتسامة تعلو وجهها شاكرة مساعدتي في انجاز معاملة والدتها وطلبت الآم رقم هاتفي حتى تعرف مني مواعيد مراجعتها.

وجاء اللقاء الثاني بعد أربعة أيام وقد طلبت من الأم بعض الأوراق المتعلقة بمعاملتها، قالت إن أمها تنتظرها في سيارة الأجرة أمام باب الإدارة، طلبت منها إحضار والدتها وأبديت استعدادي آن أعيد الاثنتين للمنزل بعد التأكد من الموظف الذي عنده أوراق معاملة أمها إنها اكتملت.

عرفت إنها الرابعة في تسلسل أخواتها والسادسة في ترتيب الأبناء والبنات وعددهم تسعة، والدها موظف كبير ووالدتها من أسرة تجارية وهي طالبة في الجامعة، وتواصل حديثنا عبر الهاتف وأثناء الحوار دعتني لزيارتها بالمنزل، لم يكن هناك أحدُ فالجميع في مناسبة عائلية بمنزل خالتها.

عرفت أختها الأولى في الترتيب ما تقوم به، وقد شاركتنا جولة على المكتبات ومراكز خدمات الطلاب ونحن نبحث عن مراجع وملخصات لبحث كلفها إعداده أستاذ المادة مع اثنتين من زميلاتها، فأخذت تسهل اللقاء و تمنحنا فرصألنشعر إنا في آمان.

ومع احتفالنا بتخرجها من الجامعة، كانتا الثانية والثالثة قد عرفنا التواصل عبر تفسير شهواني لم تجد فيه صور مؤذية طالما أنها واثقة من حبها، وإن عتبت الثالثة وهي الأقرب لها لتأخرها في اكتشاف صديق أختها، ولما جاء اسمها في بيان المرشحات لبعثة خارجية، لم أشعر بالقلق فأحد إخوتها سبقها إلى الجامعة التي حصلت على قبول فيها وفق تخصصها.

رتبنا إنها بعد إكمال عامها الأول نعلن زواجنا وأسعى من قبل إدارتي في الحصول على دورة تدريب تشمل إتقان اللغة الإنجليزية لمدة عامين في الدولة التي تدرس بها، كان الترتيب حلما استثنائيا يربطنا نحن الاثنين تجاوز لحظات التردد والتمرد، وجاء تطبيقه على أرض الواقع مرتبكا، والدي قرر زواجي من ابنة قريبة له ووالدتي أيدته. شعرت بالقلق ووجدت إن علي مناقشة الأمر مع أختها الأولى، التي رتبت مكان اللقاء في منزل إحدى صديقاتها، وهناك غرقت في النقاش الروحي والجسدي مع امرأة مكتملة تسيطر بشكل تام على جسدها، الذي حضر نهايته

الصديقة بعد غياب ثلاث ساعات وابتسامة انتصار صغيرة على محياها.

تشتت ذهني وشعرت بالذنب فقد أضفت إلى هماً وهماً آخر، وتكرر الوهم في لقاء ثان وحديث طويل بمطعم أثناء عشاء هي من أرغمني على قبوله، استسلمت وكنت أداري انكساري عندما أتواصل هاتفيا وعبر الانترنت، باحثا عن حجج أغذي بها سخطي.

وشاركت الثانية استعدادها الزواج برجل أعمال من أسرة والدتها، وكنت أرافقها وأختها الأولى في بعض جولاتها في السوق أو مشاغل الخياطة، وذات يوم وهي بجواري في السيارة ننتظر أختها الأولى أمام الباب (قالت: أنا خائفة) لم أهتم ولما جاءت أختها وانطلقنا وغابت الاثنتان داخل مركز الخياطة وتجهيز العرائس لقياس ثوب الحفل وموعد إكمال الزينة وترتيبات حضور إحدى العاملات لقاعة الحفلات، خيم الصمت على ثلاثتنا وإن طلبت منا الأولى الذهاب لمنزلها لشرب الشاي.

ونحن نشرب الشاي رن هاتف الثانية وكان أحد المحلات التي تسوقت منها للحضور واستلام مشترياتها، اعترضت الأولى وأبدت استعدادها للذهاب مع السائق وعلينا إيجاد مواضيع

لخلق حديث ممتع بيننا حتى عودتها.

بهدوء (قالت: أنا خائفة) وعرفت مصدر خوفها واتفقنا على أن ثمة صداقة روحية بيننا وعليها تجاوز الخوف بالاستسلام كليا لما وافقت عليه، فأدركت أنه أطيح بي وعلي تجاوز اللحظة دون خوف أو أمل، أخذت كفها بين كفي ودست وجهها في صدري ووجدتها قد أغرقها الخوف تبحث عمن يعد جسدها لما بعد الحفل، قالت: تصدق البارحة حلمت إنني ألاحق حمامة بيضاء في سطح بيتنا لما قمت من النوم شعرت بانشراح لم أعتده.

تزوجت الفتاة التي اختارها والدي واحتفلت بها أمي، وأنا في الأسبوع الثاني من شهر إجازة من العمل، اتصل أحد الزملاء يعلمني بوصول موافقة الوزارة على ابتعاثي، رتبت أوراقي وقمت بصياغة جديدة لبرنامج السفر بعد إضافة زوجتي إلى جدول كنت أعددته، وبعد أشهر ستة وأنا في مكتبة الجامعة التي أدرس بها وجدتها، لمحتها تغادر المكتبة لحقت بها ودخلت خلفها المطعم وقفت أتلفت باحثا، كانت تجلس مع اثنين، لوحت بكفها قالت: أخي وهذا زوجي.

كم أنا قلق، ويالها من حال تثير الرثاء كنت كما فأر في المصيدة هي وزوجها وشقيقها، وفي داخلي صراخ وحولي طيور

بألوان سوداء وسيقان طويلة، كانت تضطجع على ظهرها في متنزه الردف تراقب النجوم وتبصر تحقق أحلامها، وهاهي تخدش كبرياءه وقد أكملت اللعبة رفعت رأسها حدقت فيه مبتسمة وطرفا شفتيه يرتجفان بعصبية، همست أحببتك إلى حد غير معقول إنما أردت ومن أعماقي أن أنجو منك.

تذكرت أني كنت أركض في جزيرة لا أنتمي إليها، باحثا عن ماء عن عالم فقدته يوم عطشت أول مرة، كخالد يعلم أن الحاضر تشكل معه الغد والفقد ونهم لشيء آخر، وحين غادر الثلاثة المكان، عرفت أني كئيب فاجتاحتني نوبة اشمئزاز من نفسي.&

ملهاة

لم يقلقها اتصاله الهاتفي، ولم يستفزها تلبيتها دعوته، إنما جاء استغرابها وقد محته من ذاكرتها، كتابتها لشيك بالمبلغ الذي طلبه.&

١٨ / ١٠ / ١٤٣٦

انبعاث الذاكرة

على غير العادة جاء لقاء الصديقات هذا الشهر بمطعم احد الفنادق، وأنا أتلفت حولي وصخبنا أحيانا يتجاوز الطاولة التي نجلس حولها، لمحته أنه العالم الذي عرفته وعشت فيه وشعرت بقشعريرة تجتاح جسدي، خصلة بيضاء تلون شعر رأسه الكث وكذلك شعيرات بيضاء تخضب ذقنه الصغيرة.

استأذنت مرافقاتي الذهاب للحمام ومررت من جانبه حتى أتأكد من حالتي، تابعني بنظره ولما عدت همس (كيفك فاتن) ولمحت ورقة بيضاء صغيرة تتمدد بجوار كأس الماء المنتصب على طاولته، تسمرت في أعماق رؤية يوتوبية أعادتني لزمن تجاوزته دقائق وأنا أحدق فيه ثم أخذت البطاقة ولما عدت لرفيقاتي دسستها في حقيبتي.

في الواحدة صباحا وأنا أفتح باب المنزل تذكرت القصاصة فجلست على أحد مقاعد الفناء واتصلت، كان ينتظرني غاب عشرين عاما نصفها في السجن والنصف الأخر متجولا في بلاد الله بحثا عن الأمان، قلت: كل شيء هو جزء منا حتى النار وشيء لا يوجد هو السلوان، وإن ناقشنا الثقافات والقيم وآثارها العميقة

في تصرفنا.

جاءت عودته منذ أيام بعد أن فشل في فهم كيفية بلوغ المستقبل الحلم، وإقامته بالفندق مؤقتة حتى يرتب استقراره بعد خلاف مع بعض أفراد أسرته، ونفور أقاربه منه على ارث من أبيه وأمه حتى تمكن من الحصول على منزل الأسرة القديم، تذكرت كيف تسللت لغرفة السطح يقودني هدف المنفعة وقد غفا الجميع. كانت لمرة واحدة إنما الأعمق ولم استطع التخلص منها.

في اليوم الثالث وبعد أن أنزلني السائق بالسوق التجاري الذي تعودت التسوق منه للبيت وبعد دقائق من الجلوس على أحد مقاعد المقهى الذي يستريح فيه رواد السوق من عناء التجول، تذكرت ضجيج روحي وقوة الإمساك بالمتعة وانتزاعي بعنف لقمة اللحظة الأخيرة مشدودة إلى الأرض وريح عاتية تقتلع أشجار الشوارع.

ركبت سيارة أجرة وبعد ضياع بسبب تطاول المباني واستحداث الشوارع وصلت. كان المنزل منتصبا كما عنقاء تقاوم الزمن، قرعت الجرس ليفتح الباب كان بملابسه الداخلية (فانلة علاقي وسروال أبيض قصير) ابتسمت وأفكاري تبعث في طعما لاذعا انتشرت على وجهه عذوبة ملائكية، حدق في ومد كفه ممسكا بكفي وسحبني للداخل .&

غضف

وأنا أغادر مكتبة بطريق الملك عبد الله وجدت فيها الكتاب الذي أبحث عنه منذ أشهر؛ وجدتها على الرصيف اقتربت وقالت: هل توصلنا.

جلست بجواري ومرافقاتها الاثنتان وطفل في العاشرة في المقعد الثاني؛ توقفت أمام منزل في حي بشمال الرياض ترجلت والطفل، قالت: وصلهن وسوف تحصل على أجرتك منها.&

أجساد عفنة

احترم القواعد وهو يلعب بشرف؛ فخدش كبرياء أسرته تجاوز الرياح العاتية وانتصر في حرب عدمية، وفي لقاء عائلي اتفق مع مخطوبته أن تحضر بفانلة عليها شعار النادي الذي يشجع، وسروال جينز قصير؛ قبل نهاية الحفل افتقدها، قالت أمه: عمك أخذها وطلب من أبيك آن تطلقها.&

شفرة الكون

والـده زميـل عمـل بالريـاض ورحلتـي بتكليـف مـن إدارتي للتعاقـد مـع مـوظفين جـدد، جـاء للفنـدق ترافقـه زوجتـه تبادلنـا الحـديث عـلى طاولـة العـشاء، وأبـدى اسـتعداده مـساعدتي في إنجاز مهمتي في التاسعة ليلا استأذن بـسبب عملـه؛ تاركـا زوجتـه لتكملة النقاش.&

ثمالة زمن

وأنا أتأمل الأفق وقد تناثر حولي أفراد أسرتي بحثا عن الأمان خارج مدينة الرياض، جاء صوتها تنشد أبياتا تشاركنا نظمها وقد هربنا ذات مساء إلى الهدى حيث أخفتنا أشجارها عن العيون، وقبل فتح باب المنزل رن جرس هاتفي وقال بعد التأكد من اسمي (أميمة هذا الصباح ماتت).&

١٣ – ١١ - ١٤٣٦

عندما غاب الأفق

وقبل أن أقول شيئاً في اللقاء الأول بمقهى في شارع ألتحلية؛ رن هاتفه حدق في وهو يقف ثم غادر الطاولة التي تضمنا، غيوم الحزن تراكمت في الصباح وأنا وزميلاتي بالعمل نطالع أخبار الرياضة في جريدة الرياض، جاء اسمه متصدرا نعيا على صفحة كاملة لوفاة رجل أعمال كان سببا في موت والدي منذ عشر سنوات.&

نزف حلم

ذابت في جسده لما أتوا من فجاج المدن البعيدة، لمشاهدة رقصها وتلوي جسدها، على جمرته راهنت، وفي آخر وهج في دم العنفوان اختفى وحيدا.&

١٣ – ١١ - ١٤٣٦

فتنة الأصدقاء

بعد ثلاثة عقود جاء لقاء عابر في حفل زواج ابني البكر الذي كنت أحلم أن تكون أمه، لكن سؤال أحد الأصدقاء ونحن نقضي بعض الوقت في مقهى بطريق ديراب (لماذا جاءت والدتك برفقة أخيك) قلت: لمشاورتي في خطوبة ابنة أحد الأقارب، قال: بئينه .! قلت: (لاإراديا) نعم. افتر ثغره عن ابتسامة صغيرة ونهض من مجلسه وهو يهمهم (لا تصلح لك يا صديقي) واختفى بين مقاعد المقهى.&

طائر الفردوس

بعد تخرجي من الثانوية وحتى لا أغادر الطائف وحتى لا تبقى قلقة على ابنها البكر، التحقت بالعمل في إدارة حكومية يرأسها أحد أقارب والدتي كموظف على بند التشغيل، حتى تتم موافقة الوزارة بالرياض على التعيين الرسمي.

غير أن أمي لم تفرح طويلا ببقائي إذ توفيت اثر وعكة صحية عارضة، معها شعرت أن إخوتي من أمي ووالدهم يرون أن بقائي يزعجهم، بينما المنزل الذي نقيم فيه أملكه معها بالشراكة من إرث حصلنا عليه من أسرة والدي، الذي طلق أمي وأنا في الرابعة.

عرف مدير الإدارة بمستجدات حياتي فسرع طلب تثبيتي على وظيفة استقال صاحبها، مطالبها تتفق مع مؤهلي وخبرتي العملية، وأكد علي أن أقاوم العواصف والرياح الباردة، غير أنه بعد عام من صدور قرار تثبيتي كموظف رسمي جاء تقاعده وتعين مدير جديد للإدارة.

وبما أن المدير الجديد من خارج مدينة الطائف، فقد وجد في المساعد الذي يثق فيه لترتيب إقامته، أقام في الفندق ثلاثة

أشهر حتى تمكن من استئجار فيلا في حي الشرقية، تابعت تأثيثها وطلب مني استقبال زوجته وأولاده الثلاثة بالمطار لانشغاله بمناسبة رسمية يرعاها أمير الطائف ويشرفها الوزير.

في التاسعة ليلا كنت أنتظر بالمطار، وقد تأكدت من لوحة الرحلات أن رحلة العائلة في موعدها، لمحت الزوجة وقد تلفعت بالسواد وبرفقتها ولدان وبنت تتفاوت أعمارهم بين العاشرة والرابعة، تجاوزت ارتباكي رفعت صوتي مناديا باسم المدير لتركض نحوي الطفلة ثم الولدان واقتربت المرأة.

لم يكن هنا عفش زائد وفي العربة كانت المرأة تجلس خلفي، كلما حدقت في المرآة لسلامة الطريق كنت أجدها أمامي، طرح أكبر الولدين بعض الأسئلة لمعرفة معالم الطريق، بينما الثاني كان صامتا والطفلة ذات السنوات الست الجالسة بجوار أمها تحدق في كلما تكلمت وقد افتر ثغرها عن ابتسامة صغيرة.

فتحت باب المدخل ثم فتحت الباب الداخلي للفلا وعدت للوقوف بجوار السيارة، ترجل الجميع ووضعت في الفناء العفش وأغلقت باب الفناء، وأنا أهم بالتحرك فتح الباب كان الولد الأكبر تريثت وفتحت زجاج باب السيارة الجانبي، قال بصوت خافت: (جيعانين نبغى عشاء) طلبت منه مرافقتي، دخل مستأذنا وتركته يختار المناسب.

اتفقت مع إخوتي من أمي ووالدهم على بيع المنزل، وأشعرنا أحد مكاتب العقار بذلك وبعد عشرة أيام طلب مني صاحب المكتب مقابلته ووجدت زوج أمي وعرفت أنه يرغب في شراء نصيبي بشرط أن أتنازل عن إرثي في نصيب والدتي، وبعد جدال لمعرفة المبلغ الذي وصل إليه ثمن المنزل، طلب مني صاحب المكتب التفكير.

يبدو أنه يجب علي إزالة معالم الحزن (الهوة السحيقة الممتدة حتى النجوم) الذي تلبسني بعد رحيل أمي، كيف لي أن ألغي هذه الحالة التي تشاركني كل خطوة منذ خمس سنوات، مكبلة خطواتي داخل سور الطائف متخيلا إن هناك حقول ألغام تترصد خطوات الرحيل.

وجاء اتصال صاحب المكتب كان حديثه ودوداً وصادقاً كان يعرف حسب خبرته في السوق العقارية، أن المبلغ الذي سوف آخذه بعد بيع المنزل يمكنني من شراء شقة بأحد المباني الحديثة، إضافة إلى أن موافقتي تعد صلة رحم وصدقة؛ يسعد أمي في قبرها وقد وفرت الأمان لأخوتي.

هل كان الموت جزءا من متاعنا، تأملت هذا وأنا أجلس مع الأصدقاء في المقهى وقد تخيلته يجلس مع أمي في الزاوية المقابلة من المقهى، كانت أمي تتحدث وكنت أسمعها تقول

شارحة (سعادتك تجعل الفراش طريا . حيث تأكل الدببة البرية من أيدي الصغار) وكان بين وقت وأخر يلتفت محدقا في، ولما نهضنا قررت الاقتراب منها لأكتشف أن الزاوية فارغة وأن خيالي يساعدني على اجتياز الطريق.

رأيته في متاهة أحلام الفردوس، طلب مني المدير وهو قد اعتاد تكليفي ببعض المهام الخاصة إحضار زوجته من حفل زواج تحضره، كانت الثالثة صباحا. تفتح باب السيارة لتجلس في المقعد المجاور، رفعت غطاء وجهها وسحبت وهي تتخلص من العباءة مناديل ورقية أخذت تزيل أصباغ وجهها وتمسح عرق صدرها.

لمحتها تتخلى عن جزمتها ثم رفعت طرف فستانها حتى ركبتيها، لتتمكن من التخلص من الشراب الحريري اللدن، ولما سكنت قالت بصوت خافت (أنا عطشى) غيرت طريقي متجها إلى الهدى قاصدا محطة بترول أعرف أن المقهى والمطعم وبقالتها تستمر في السهر، وقمت بشراء قنينة ماء وقنينتي عصير ليمون، شربت جزء من قنينة الماء وسكبت الباقي على صدرها.

غادرت السيارة حافية القدمين فتحت باب الفناء ودخلت تاركة العباءة وحقيبة يدها، ترجلت من السيارة حاملا الحقيبة والعباءة، كانت تنتظرني على باب الفيلا لوحت بكفها حتى أغلق باب الفناء وتبعتها في غرفتها طلبت مني مساعدتها على التخلص

من فستانها.

ارتدت ثوب نوم شفاف وجلست على مقعد التسريحة، طلبت مني (تهميز كتفيها) التقت نظراتنا في المرآة أغمضت عينيها بعض الوقت، ولما فتحتها سحبتني وأجلستني على فخذيها وأخذت تلعق عنقي ثم زرعت قبلة طويلة على فمي.

أخيرا وجدت بصيص نور في قناع روحي المتعب وامتدت يد الله شاقة صدري لتغسل قلبي من غضبه، شعرت بحرارة جسدها العالم كله هنا حيث أنا الآن تتجمع قطعي المحترقة وعرفت أن الروح عائدة (كنت بحاجة إلى محيط ودود) وأنا أصعد وحولي نسمة ريح مبللة بقطرات مطر.

في العاشرة صباحا تنبهت تذكرت العمل وتأخري تجاوزت القلق والخوف اللذين حطا فجأة في أعماقي، وجدتها في صالة الجلوس أمسكت بكفي وهي تهمس (الفطور زاهب) جلست قبالتي صمتها يشعرني أنه لم يحدث شيء وعند الباب (اكتشفت أنها الكمال الذي أبحث عنه) ودعتني بضغطة خفيفة على كفي.

تتعمق الوحدة وإن تفرقت السحب السوداء، الوساوس تمزق نفسها ببطء تذوب في لحظات اليقين، مواصلا الطيران عاليا مع الحلم والأوهام البعيدة انتقل من شجرة إلى شجرة تجذبني الغصون المزهرة (يا أماه ابعثي لي الحب) حتى أتجاوز

الرطوبة القاسية التي تحيط بي.

في المقهى وقبل أن يصل الأصدقاء انطلقت فكرة التمرد على ذاتي، جاء النادل يشع بياضا وهو يقدم طلباتي، حدق في وقال (الليلة لن يأتي أحد) وغادر لم ينتظر استفهامي، حولي هبوب مطر خفيف ارتفع معه حفيف أشجار المكان سمعتها تقول: (اطلب كأس ماء) كانت أمي تجلس بالكرسي الملاصق لمقعدي وكان النادل المشع بياضا يناولها الكأس.

جسدها الغض بدا أكثر رشاقة في ثوبها المخملي الأسود، غدت سيدة مكتملة واثقة من تصرفها حريصة على احترام موقفها ختمت حديثها: (ولدي لك مطلق الحرية بالرحيل سوف أجدك أينما تستقر) ونهضت شاركها النادل المشع بياضا السير، حاولت اللحاق بهما غير أن قدوم اثنين من الأصدقاء أعاقني.

طلب مني مدير الإدارة الحضور لمكتبه، لما دخلت أمر مدير مكتبه إغلاق الباب، كنت واقفا حدق في ثم سحب ورقة من ملف أمامه على المكتب، مدها لي وطلب مني الجلوس لقراءتها قال (هذه خيارات مدن أخرى للنقل) قلت (مبروك) قال (اخترت المكان المناسب بشرط أن تكون معي) أحسست بألم لاذع وارتعاشه قوية تهز جسدي.&

خطوط قوس قزح

في شارعي المعتم وبحذر وجدت مكاناً لسيارتي ليس بعيدا عن المنزل القديم الذي أستأجره منذ ثلاثة أشهر بالقرب من مستشفى الشميسي منذ تم نقلي على ضوء ترقية في وظيفة مقرها الوزارة بالرياض.

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كنت راجعا من حفل عشاء أقامه الزملاء بالمكتب الذي أعمل فيه مساعدا لمديره بأحدى خيام منتزه الرمال، ولما حاذيت باب المنزل سمعت أحدهم يقول (أنت.. أنت.. أنت) تلفت حولي ولمحتها بباب موارب طفلة غابت معالمها.

اقتربت وجلا ومعالمها تتضح وجهاً أبيض مستديراً وشعراً أسود قصيراً ناعماً خصلة منه تغطي جبينها وثوباً قطنياً أبيض بخطوط قوس قزح انسدل حتى ركبتيها. ولما وقفت بادرتني (كنا ننتظرك) تجاوزت الممر المظلم وقد تسلل الضوء من أبواب مشرعة.

سبقتني إلى باب في الجهة اليمنى لأجد سيدة تقتعد كنبة مزجودة قامت لما لمحتني ومدت كفها مسلمة، بيضاء رشيقة

القوام شعرها الأسود منسدل بحرية، ترتدي ثوبا أبيض تتراقص مع تعرجاته ألوان قوس قزح.

عرفت أنها لمحتني مصادفة وعرفت أني غريب ووافد على الحي، ولما تكررت المشاهدة قررت دعوتي للعشاء والتعارف، الهدوء والسكينة يدل أن لا أحد هناك والطفلة الساكنة بالمقعد المقابل تتابع حوارنا، وقد أحضرت جيك ماء بارد وجالون صغير لعصير فواكه مشكل سكبت كأساً لي وآخر للمرأة.

مسحت رأسي بكفها وقالت: (هل تنام عندنا) وهي تردد (تفضل .. تفضل) تبعتها لتفتح باب غرفة عبقة الرائحة والضوء الخافت يخفي ألوان أثاثها، كل جزء من جسدها يدعكني ولما هدأت ثائرتها وقفت بجوار الفراش لتخلع ثوبها، شعرت ببرود جسدها وعنفوان حركتها وهي تأخذني إلى مغارات جسد أجهل معالمه وحقيقته، فكل ما أركض معه نزوات جربت بعضها إنما لم أصل إلى الحالة التي الآن أعيشها.

فتح باب الغرفة الموارب كانت الطفلة؛ معه همست المرأة في أذني (جاءت لتأخذ نصيبها) لم أفهم العبارة حتى دارت حول الفراش، لتمد كفيها لملامسة جسدي أنفاسها تلفح عنقي وشفتاها تزرعان قبلات صغيرة على ظهري، ولما لامست كفي مؤخرتها سكن حراكها وانفجرت ضاحكة.

نمنا في الفراش ومع السكون المحيط بالمكان وعلى ضوء الشمس تنبهت؛ لم يكن هناك أحد، كنت أنام على فراش ممزق ممدد على الأرض، في غرفة جدرانها ملطخة بالسواد، المكان متداع ومهجور وآثار الخراب في كل مكان، عند الباب وجدت سيارتي وأنا أدير المحرك، قال: رجل بملابس رثة وقف بجواري بعد إلقاء تحية الصباح (عسا ك تبي تشتري البيت) هززت رأسي وأنا أتطلع في ساعتي كانت العاشرة والنصف.&

السائق إلياس

لم يعد هناك مكان للقلق وأنا في طريقي للمطار في رحلة عمل وقد غمرني إحساسُ مليءُ بالأمل، جاء حديث سائق التاكسي الأسيوي غريبا وحتى أتأكد من صحته طلبت رقم جواله للتواصل عند عودتي، خلا المنزل من الجميع وتلبسني معه رطوبة قاسية تسكن أعماقي وبقيت أتابع إكمال أوراق تقاعدي من العمل، كان السائق الأسيوي ينتظر أثر حديثه وهو يتكفل بتوصيلي لمقر عملي.

أمن السائق الذي عرفت أن اسمه إلياس من أول اتصال عاملة منزل وقال وهو يناقش راتبها (جربها) الواقع شكل صدمة قاسية خسارتها غير مأمونة، في عطلة نهاية الأسبوع وفي اليوم الرابع من دخول خديجة المنزل وأول يومي عطلة نهاية الأسبوع، صحوت على حركتها بالمطبخ تقلبت في الفراش أطرد الكسل باحثا عن ومضات الصحو.

نزلت الدرج واتجهت للمطبخ كانت خديجة بحابسة الصدر وبنطلون جينز يبرز مكونات جسدها الأبنوسي إلا أنه رشيق ومفعم بالحيوية، جلست على أحد كراسي طاولة الأكل وقد

تعددت أطباق الفطور إذ الساعة التاسعة صباحا، وأنا أتناول بعض اللقيمات دعوتها للمشاركة تمنعت بصمت وغادرت المطبخ.

عدت لغرفة النوم إذ لاشيء يدعوني للخروج ولم أهتم بتشغيل التلفزيون، سمعت نقرا خفيفا على الباب الذي فتح كانت خديجة، التي اتجهت للحمام لتعده حتى أستحم وأستعد لصلاة الجمعة.

وفي الثانية بعد الظهر كنت أجلس وحيدا على طاولة الأكل، منذ عام وحيدا جاء الترفع لمرتبة أعلا وبمسمى قيادي في المركز الرئيس غير أن زوجتي وابني بقيا في الطائف وأجل مدير عام الشئون المالية والإدارية ندبي وقد تم التنسيق حوله مع مدير الفرع الذي أعمل به كمدير مالي.

ومعه بعد ثمانية أشهر قررت الاستقالة من العمل الحكومي فخبرتي الإدارية والمالية مطلوبة في المؤسسات والشركات الأهلية، ومعها عرفت أن التحفظ جاء من اكتشاف اختلاس ورشوة وفقد مستندات مالية لأعمال تابعة لقسم المشاريع بالرياض ورد فيها اسم أحد كبار موظفي المركز، وعلي الانتظار والتفكير مليا في إكمال إجراء استقالتي.

في الثامنة ليلا جاء السائق إلياس لأخذ خديجة كما هو متفق

لساعات العمل، وفي السابعة صباحا جرس الباب قرع كان إلياس وخديجة وأخرى؛ في صالة الجلوس عرفت أن خديجة طلبت الأخرى لتقوم بالتنظيف وغسل الملابس وهي تعد الأكل وتعمل الشاي والقهوة وتجهز العشاء قبل المغادرة.

طلب إلياس أجرة الأيام التي عملتها خديجة وأجرة يوم للعاملة الثانية، استسلمت للتأمل في آمر لم أستطع تغييره من خلال تأمل بعيد ويائس، وبعد تناول الغداء وشرب الشاي في صالة الجلوس متابعا مباراة كرة قدم في الدوري الأوربي، لمحت خديجة تقف بباب المطبخ خلفي تتابع المباراة، دعوتها للجلوس ومع نهاية الشوط الأول نهضت تابعتها تصعد الدرج وبعد دقائق كانت تهبط والعاملة الثانية.

انتهت المباراة وواصلت تأملي وهناك من يحلل المباراة مع لقطات منها، مذكرا بالمباراة التالية بعد ساعة وانتظار المجهول يضايقني تخيلت أني الآن ميت وقد اختفى الضجيج الذي يرافق تحركي وأني أغرق في الظلام، وانتزعني بعنف صوت طلال مداح يردد أغنية تشعرني بالسكون فأغمضت عيني في حلم غابت ملامحه.

تنبهت على صوت خديجة وهي تطلب مني السماح لمرافقتها بالرقص، ابتسمت فربتت على كتفي ثم جلست على

الأرض عند قدمي تتابع رفيقتها وكفاها تضغطان على ساقي وفخذي المغطيين بثوب النوم الواسع واللدن بحركة لم أستوعبها.

اتصل السائق إلياس في العاشرة ليلا يعتذر عن إحضار خديجة في الصباح وأن هناك من سوف يحضر الأخرى، جاء يوم الأحد مزدحما بالعمل معه تأخرت للرابعة عصرا ولما دخلت المنزل شعرت بالفراغ توجهت للمطبخ كان الغداء على طاولة الأكل فصعدت لغرفتي أبدل ملابسي، كانت الأخرى راقدة في الفراش.

أخذت أتأمل جسدها الراقد على جانبه الأيسر، تنفسها مرتفع ويتخلله شخير متقطع يملا فضاء الغرفة السابحة في ضوء حاد، بدلت ملابسي وأنا أهمهم (لا شيء يبقى سوى الذكريات) تركت الباب مفتوحا وعدت للمطبخ وطاولة الطعام وجلست أمام التلفزيون في صالة الجلوس لتهبط وقد تبعثر شعر رأسها مرتدية ثوب نوم قصير أتذكر أنه لزوجتي كاشفا جسداً يمكن احتواؤه بطرفة عين.

دخلت المطبخ وعادت تحمل براد الشاي وكأس ماء مثلج بعد وضعها أمامي انحنت تقبل رأسي وهي تهنهن بكلمات لم أفهمها، أمسكت بكفها أتأمل صدرها المتهدل عبر فتحة الثوب

الواسعة وشعرها الأشعث، أخذت أضحك انهارت في حضني كل شيء فيها يرتعش؛ تنبهت ومؤذن المسجد المقابل لمنزلي يقيم الصلاة.

كنت مثل ناج يسبح خارجا من سفينة غارقة إنما تخيل موج البحر أشجار تتسلق منحدرا تبدو كأنها الطمأنينة التي فقدتها، بعد لحظات من الصمت تلفت حولي واحدهم يقول بصوت رقيق وخافت (كل هذا سيكون مطمئناً) العتمة تحيط بي والتلفزيون مغلق أشعلت النور وأنا اصعد الدرج وجدت زوجتي في رأس السلم تبسمت وأمسكت بكفي.&

السقوط

يثرثر في بعض من سهراته مع الأصدقاء عن انتصاراته؛ وفي اليوم العاشر على وفاتها عثر وهو يعيد ترتيب غرفة النوم على دفتر مذكراتها، عرف أن أولاده الأربعة وبناته الثلاث نتاج علاقات خاصة، في العاشرة اقتحم عيادة ابنه البكر بالمستشفى العام؛ الذي استدعاه الممرض من اجتماع يشارك فيه جاء راكضا ليجده ميتا.&

المسبح

الموت منذ كنت في الرابعة من العمر يسير معي؛ والليلة اختفى تلفت حولي علي ألمحه على إحدى طاولات المطعم؛ بعد انتهائنا أنا وزوجتي من إكمال فنجان القهوة، أمسكت بكفي وسحبتني خلفها عند الباب كان ينتظرنا بسيارته، غادرنا المدينة إلى ضاحية زراعية ولجنا مزرعة سياجها مرتفع واندغمنا في ممرات زراعية، وبمحاذاة المسبح وقفت السيارة. زوجتي بعد فتحها لباب السيارة تجردت من ملابسها وقفزت عارية في الماء، سائق العربة قلدها وارتفع صراخهم في المسبح؛ وأنا أراقبهم شعرت بأنفاس حولي كان الموت رفيق دربي أشار بإصبعه نحو الاثنين ثم وجهها نحوي.&

خطوة

عندما انطلقت لم أكن أتوقع أن وجهتي معاكسة لهدفها، لما دخلت المقهى القابع في بوابة المدينة؛ قال النادل: هل أنت مطارد.! قلت: حتى ألحقها. ابتسم ولما عاد لأخذ ثمن فنجان القهوة، قال: هي خلفك منذ ساعة ركبت الباخرة مهاجرة إلى أمريكا.&

تلبس

من خلال لقاء عابر تمكنت من إشعال النار الخامدة منذ أربعين عاما؛ وفي حفل خاص حلقت الدهشة فحطم العبث جدران الخوف الأسمنتية، ولما جاء غيابها لم تصدمني تفاصيله فلم أسع إلى غلق النوافذ التي شرعتها، وكانت أسئلة من حولي تدفعني للركض في الغابة بحثا عن شجرة توت.&

رخص

بعد فشله في جعل زوجته عتبة لتحقيق هدفه هرب نتيجة خوفه وغضبها؛ ولما شعر بالندم وجد في صندوق بريده في الغربة؛ حكم المحكمة بخلعها لعدة أسباب أهمها الغياب وإهماله نفقة ابنته.&

لما عصف اللهب

بسبب نصائح والده المتلاحقة نما في أعماقه كره أسود للمنزل؛ فتعدد أصدقاؤه وإن سعى البعض على الاستئثار برفقته؛ تذكر هذا وهو يشاهد ابنه المتخرج حديثا من الجامعة، يؤجل موعد زواجه ليسافر مع وفد أهلي لتقديم المساعدة للمناطق المنكوبة بالجفاف؛ عاد الوفد ولم يعد ابنه ولما سأل عنه لم يجد الجواب.

مشاركة

انتهى الثاني من إلقاء ورقته؛ فدعا مدير الحوار الثالث لقول ما عنده، وتداخل الحضور في النقاش؛ ونحن نتناول العشاء تذكرت أني لم أقل شيئا؛ مع إني في ترتيب جلوسنا على المنصة كنت الأول.&

المسطح

شبهت حبه بقبر قديم سرق اللصوص شاهده؛ كان قبل الاختفاء مضطربا خارجا عن سيطرتها وفي أخبار الواحدة بعد منتصف الليل بالتلفزيون؛ جاء اسمه وصورته في خبر تفجير انتحاري نفسه وقد حاصره رجال الأمن في استراحة بشمال الرياض.&

خيانة الغيم

بعد أن وصلت للمركز التجاري طلبت من السائق العودة للمنزل، جاء في الموعد المحدد وولجا أحد المطاعم؛ أثار حنقها حديثه عن السفر وهي من جاءت لمساعدته، وقفت بدعوى الذهاب للحمام ولما عادت لم تجده.&

التصحر

تدهور الأرض الزراعية بسبب زحف الشجيرات الشوكية، وتصحر أفكاري وجسدي مصدره مقت صديق غرق حتى أذنيه في ملاحقتي؛ لما تجاوزت الرعب لم أتخلص من الشك فيما أنا فيه؛ وقد تمكنت من تأكيد وجودي بشكل جدي.&

الجدار الفاصل

جاء صوتها عبر الجدار الفاصل بين منزلينا؛ تحتاج الهاتف حتى تتصل بوالدها فشقيقها مريض وأمها قلقة عليه؛ وبما إن سلك الهاتف طويل فقد تمكنت من تحقيق طلبها الذي تكرر في مناسبات أخرى أثناء غياب زوجتي.

ولما حل موعد ولادة زوجتي وبعد أربع سنوات انتظار لمولدها الأول انتقلت من المستشفى لمنزل والدها، لمتابعتها صحيا من قبل أمها ومساعدتها على رعاية الطفل، شعرت جارتي بوحدتي فتجاوزت حديث الحائط، بقرع الباب محملة بطعام العشاء وإجراء مكالمة هاتفية من خلال أرقام تسكن ذاكرتها.

وعرفت إن سبب عدم وجود هاتف بمنزلها، رفض والدها المراجعة والبحث عن واسطة بسبب أزمة أرقام جديدة وتمديدات متعثرة في الحي، كل شيء فيها مبتسم وكل شيء فيها قلق ومبعثر تركت الدراسة بعد فشلها اجتياز أولى ثانوي منذ عشر سنوات؛ وسفر خطيبها للدراسة منذ أربع سنوات إلى بريطانيا.

وانشغال والدها بعمله وسفرياته المتكررة، وعناية أسرة

والدتها بهم واتصالهم المتكرر للاطمئنان عليها وعلى شقيقها وأمها، كانت بعد انتهاء المكالمة تغادر مسرعة وكأن شيئا يحثها للحاق به، لم أهتم بغياب زوجتي وأعذارها التي أشعر أنها مفتعلة للمكوث بمنزل والدها.

وذات مساء والظلام مخيم على الكون بسبب سحب متلبدة في السماء؛ نبهني من غفوتي جرس الباب كانت جارتي مستنجدة إيصال شقيقها للمستشفى، حملت الابن وأمه وفي غرفة الطوارئ تابعت فحصه، ونصح الطبيب بأن يبقى تحت المراقبة أربع وعشرين ساعة، وتابعت نقله لسرير في الدور الرابع، وموافقة الطبيب بقاء أمه معه بضع ساعات فزودتها برقم هاتفي للاتصال إذا لم يتواصل أحد معها.

وأنا أهم بإغلاق الباب جاء صوت جارتي عبر الجدار تسأل عن شقيقها فطلبت منها الحضور وتركت الباب مشرعا، جلست على أحد مقاعد صالة الجلوس، وسمعت الباب يغلق ووقع خطواتها، جاءت أنفاسها ورائحة عطرها لمحت هلعها فقمت طوقتها بذراعي سكن رأسها على كتفي، وشرحت لها حالة شقيقها شعرت أن أنفاسها تهدأ ودقات قلبها تعود للنبض الطبيعي.

بعد جلوسها عرفت أن والدها عند زوجته الأولى، أحضرت

لها كوب ماء من البرادة في المطبخ، نهضت وأشعلت التلفزيون تبحث عن قناة تتابع مسلسل أجنبي مدبلج للعربية العامية تعيد عرضه في هذه الساعة، وكلما تحول الحوار الشائك للحميمة كانت أصابع كفها اليسرى تتقلص ولما نهضت مع انتهاء الحلقة رجوتها البقاء فأمها في المستشفى لم ترد وضعت كفي اليمنى على كتفها حدقت في ولما عدت لمقعدي جلست في حضني.

أحسست بها ترتجف وقد أغمضت عينيها ركضنا مقتربين ولما توقف انفعالنا تمددنا على الأرض، قمت بإطفاء الأنوار وعلى أشعة شاشة التلفزيون أخذت تغرف ما يشبع ظمأها، رن جرس التلفون كانت أمها تنتظرني فقد اجتاز ابنها حالة مرض الربو التي كانت ضيق تنفس بعد كشف الطبيب المختص.

تابعتها بنظري وأنا أدير محرك السيارة حتى دخلت الدار؛ زوجتي طلقتني بعد مشادة مع خالها الذي جاء من رحلة علاج طويلة؛ معه أخذت إجازة من عملي وسافرت في سياحة أبحث عن ذاتي؛ في الشهر السادس على عودتي اكتشفت أن المنزل المجاور مغلق وتنتصب على جداره لوحة مكتب عقار تعرضه للإيجار.

زرت مكتب العقار بدعوى استئجار المنزل بينما كنت أبحث عن معلومة ترشدني لجارتي؛ قال صاحب المكتب إن

المنزل جديد بناه صاحبه من أجل سكنى ابنه المتزوج حديثا والذي حصل على بعثة دراسية قبل اكتمال البناء الذي توقف بسبب سجن صاحب شركة البناء&

١٤٣٧-٣-٢٩

عندما أكلت حواء التفاحة

البدء كان تعطل سيارتي الرابضة بمواقف المركز التجاري فأوصلني لشقتي؛ وتزامن تسوقي الشهري مع برنامجه فكلنا من وطن واحد في بلاد الغربة، قبلت دعوته لزيارته فكان الغذاء الذي معه تجاوزت عطش الصحراء؛ اليوم وأنا أرافق ابنتي بسوق طيبه لشراء حاجتها من الذهب كعروس؛ حدق في ونحن نتجادل على السعر قال: أمرك زينب لن نختلف.&

المذبح

بعد العودة لنقطة الصفر قرر اختبار مسار جديد حتى يصل؛ في نهاية العام الثاني من السير عبر عناوين إرشادية مزروعة على الأرصفة؛ وجدها تنتظره كل شيء فيها جديد ضايقته رائحتها فعاد ركضا لنقطة الصفر.&

١٠ – ٤ – ١٤٣٧

هذا الفصل لم أكتبه

بعد أعوام عمل ثرية بالحياة غادرت الرياض، فيها الجامعة طبعت ثلاثة كتب في مجال تخصصي في النقد الأدبي؛ ودار نشر طبعت روايتين وكتاب ضم مقالات وأبحاث أدبية؛ وهذا العام صدرت روايتي الجديدة وها أنا أوقع نسخها في جناح الناشر بمعرض القاهرة للكتاب، وعلى وعد بلقاء تلفزيوني في القناة الثقافية في الثامنة ليلا للحديث عنها.

صدمني حديث المذيع وهو يقدمني للمشاهد عن مضمون الرواية وتكراره اسم عامر كشخصيتين عامر الابن وعامر الأب، أخذت أتصفح نسخة الرواية التي تنام على الطاولة أمامي، أتذكر إن المسودة تضم أربعة فصول في الطبعة الفصول خمسة، من الصفحة الأولى في الفصل الثالث برزت أنا كمتحدثة تحتشد بين السطور، وهو المتيقظ من استطاع إعادة صياغتي كامرأة نسيت جسدها.

فلم يذكرها زوجها بما كانت وهو يرى في جراءة زوجة زميل في الجامعة تنتفخ بالتفاصيل دافع لإعلان إعجابه بقوة شخصيتها، فشعرت إني أنافسها بجموح في تكوين علاقة

استأثرت بتفكيري وحفزت واقع جديد هو جزء هام في سطور الرواية الجديدة يؤكد أنها كل ما ينوي فعله.

هو وأنا وهي ثلاثة أشخاص لا يكون أي منا فيها مغبونا وإن بدوت مضطربة في كسب وده وكلية ذاتها رغبات وحشية تنثني داخلها ترسم أشكال أليفة، أما هي فدمية ترقص بخفة تكاد لا تلامس الارض.

مع الوقت استولى عليها واقعها بهدوء فكان عامر الابن قبل ابتعاثه لنيل درجة الدكتوراه إلى كندى، لا يمكنني السيطرة على غضب اشتعل في داخلي شوهت وجهي تكشيرة، غير أني تمالكت وقلت بصوت مرتجف وأنا أغادر الأستوديو: هذا الجزء لم أكتبه.&

قشعريرة يقظة

حتى أتجاوز احتقان وجهي ومزاجي السيئ اخترعت كذبة نسيان حبوب السكري بالشقة؛ ولم أناقش شقيقي الأكبر وهو يطلب انتظار السائق الذي يوصل زوجي للمطار، في الشارع ركبت أول سيارة توقفت وطلبت من السائق الوقوف عند مركز تجاري، أمام باب العمارة أصر على حمل المشتريات، في المصعد الصراخ المذعور اخترق جمجمتي؛ فتحت باب الشقة وأنا اتجه للمطبخ كشخص استثنائي يبحث عن جرعة ماء. سمعت الباب يغلق بالمزلاج.&

تصرف مشين

أخذ يرتجف خوفا في فراشه وقد هجره النوم، خشيت أن أحدهم لمحه ينتظر امرأة تعرفت عليه عبر الهاتف؛ متناسيا إنها بعد كوب قهوة في الكوفي شب غرقت معه في قبلة طويلة قبل مغادرة سيارته، اعتاد الظلمة فشعر بالهدوء متذكراً سنوات الحرية القصيرة، التي دفعته إلى إنهاء حياة العبودية التي دخلها راضيا.&

تراكم الثلوج

هذه رحلتهما المشتركة الرابعة، شعر هذه المرة بإعجابها، رحلته الأولى كانت ممتعة بتحقيقها هدف السفر كرجل أعمال قادم من الصحراء، في الرحلة الرابعة أوصلتها جدية النقاش إلى غرفة فندق بسرير مزدوج كخبير تسويق.&

الراوند

جاء اللقاء محققا أهدافه فقال شريكي بالمشروع ونحن في السيارة، كاد مسعانا يفشل لولا الحظ واقتناع مدير الشركة المنتدب الذي منحنا تنفيذ الأعمال بالسعر الذي قدمناه، في اجتماعنا الشهري كأصدقاء قرر أحدنا اختصاره فيه بمناسبة قدوم شقيقه من الطائف، وجدت مديرة الشركة المنتدب في المناسبة، وبرزت الذاكرة فقد كانت أنثى صارخة تتسوق ذات ليلة في أحد المراكز التجارية شاركتني فنجان قهوة .

غبش

وأنا أقف بسيارتي في ممر الخروج التابع للمركز التجاري لفت انتباهي خطاها السريعة وتلفتها ولما جلست بالمقعد الخلفي قالت حي المربع لو سمحت تسهل تجاوز الممر وسرت عبر الشوارع حسب توجيهاتها حتى توقفت أمام باب منزلي الذي لم يبق به أحد نقدتني عشرين ريالا وهي تترجل انتظرتها حتى فتحت الباب ودخلت.&

عصف

لامت نفسها وأصابتها نوبة اشمئزاز؛ لم تعد تشعر الآن بأي رغبة في التقاء أحد فما حدث كان فظيعا معه فقدت ثقتها فيما كانت؛ تجاوزت أحاسيسها وهو يقول كم أنت مدهشة؛ رن جرس هاتفها النقال بنغمة خاصة دفنت رأسها تحت المخدة وأغمضت عينيها.&

هذيان

هـي زوجـة المستـشار، هـو مستـشار في قـسم العقـود، أنـا سـكرتير لجنـة العمليـات، المناسـبة المستـشار في رحلـة عمـل أوصـلته للمطـار وقبـل أن تترجـل، بحـديثها الـودود وابتـسامتها الصغيرة، طلبـت بعـض حاجيـات المطـبخ، دسـت ذراعهـا تحـت إبطي في شغف لتمارس لذة خلقتها اللحظات التي قـضتها واثقـة من عودتي.&

ابتسامة

تجاوزتها في دخولي الصيدلية لشراء حبوب للضغط استعملها منذ سنوات؛ وأنا أهم بالخروج التقينا بالمدخل تابعتني تأمل شراء دواء لا تستطيع اقتناؤه لفقرها، صوتها الرخيم وملامح وجهها المستور بغطاء أسود شفاف وجسدها الملتف بعباءة مزخرفة، أغرياني بمداعبتها في الحديث وأنا أتجه لسيارتي، سايرتني بالمشي على الرصيف وعندما فتحت الباب رفعت الغطاء عن وجهها؛ لما ابتسمت فتحت باب السيارة الآخر.&

ألق

إنني ذاهبة ولبست عباءتها، اليوم جاءت تميز حزنها عن الباقين، لما رن جرس هاتفها قالت: جاء؛ وهي تفتح باب السيارة همست إنه ابنك، فتذكرت أنها قالت: (حينما لا يلوث الظل خطواتنا نميز هلت الليل) واختفت.&

المتاهة*

تدفق الدم فتبللت بالعرق كفي، كانت الطالبة التي تستجدي المغفرة في غرفة مديرة المدرسة التي استدعتني كمشرفة تربوية زائرة للاطلاع، ابنة رفيق نزق المراهقة.

عرفت إنها تقيم وإخوتها الثلاثة في منزل جدها، وأن والدها مات في حادث سير منذ خمس سنوات.

صمت المديرة رابني؛ لما خرجت الطالبة من الغرفة قالت المديرة: كان والدها زوجي في زمن تجاوزته. &

*في مجموعتي فرشاة اله الرعد نص بعنوان المتاهة

جلنار

قررت زيارته في مكتبه الجديد وأثناء الحديث دخلت برفقة السكرتير؛ عرفت إنها على موعد سابق نهضت للمغادرة؛ وأنا أتناول من أحد الموظفين بعض النشرات التعريفية شعرت بأنفاسها؛ قبلت دعوتي لتوصيلها وفي المسافة القصيرة عبر الشوارع المزدحمة تجاوزت ملامحها الغامضة.&

ترحل لحظات لا لون لها

في زمن ذاك الحلم: وقد امتد المكان حتى لم تعد له نهاية؛ طلبت مني أخذها إلى حفل تسعى كصحفية لتغطية فعالياته، المكان حديقة عامه في طريق شهار والمناسبة احتفال بموسم زهرة الورد، الموقع بين بوابتين بوابة مستشفى (شهار) الصحة النفسية وبوابة مستشفى (الدرن) الأمراض الصدرية، وفي انتظاري شرعت باب المنزل ورجتني هامسة أخذ أختها الأكبر التي تزورهم وطفليها لتصورهما؛ ونشر صورهم مع التغطية الصحفية بالجريدة، ولما عدنا رأت الأخت إيصال شقيقتها أولا حتى لا تلاحظ أمها حضورنا المتأخر.

فكانت عفويتنا استجابة الفكرة، ولما وصلت لدار الأخت تذكرت أنها بحاجه لبعض الأغراض تجولنا في الشوارع بعد انتقالها من المقعد الخلفي لتكون بجواري، وفي محطة بنزين تضم مركزا تجارياً ومقهى في طريق الهدى عثرت على مطالبها؛ كان الطفلان نائمين ابن في الثانية وابنه في الرابعة، أوقفت السيارة في شارع خلفي للبرج السكني وحملت الطفلة وهي حملت الطفل وفي المصعد ران الصمت.

فتحت باب شقة في الدور السادس، ودخلت خلفها العتمة والهدوء يخيمان على المكان ولجنا غرفة نوم الطفلين ورقد كل واحد في سريره ونحن في صالة الجلوس، دعتني لشرب الشاي ومشروب بارد كانت الساعة متأخرة؛ اعتذرت وقد عرفت أن زوجها رجل الأعمال مسافر منذ عشرة أيام وخادمتها تركتها في منزل والدتها: يدفعني نسق اجتماعي بولغ في خلقه. كنت خليطا قويا لا يقهر؛ بينما كنت أيضا: لم أكن ذلك الشخص القادر.

تنبهت من الحلم: ونحن نجلس بجوار جذع شجرة وارفة في متنزة الردف الطبيعي نستشرف الذي سوف يأتي، قررت الزواج فأنا وإن كنت أحبها ودفء الشمس التي تنشر الطمأنينة في أعماقها ومن شعرت بوجودها معه؛ غير مناسب وبلا طعم في حالتها، وبعد ثلاثة أشهر من رحيلها جاء اتصال أمها للمشاركة في شهادة بالمحكمة الشرعية؛ جاءت استجابتي آلية رغم عدم معرفتي بالموضوع، لما أكملنا الإجراءات أوصلتها وابنها الفتى وابنتها الثالثة للمنزل.

لأجد في المقعد الخلفي للسيارة بعد قضاء جزء من الليل؛ مع الأصدقاء في المقهى، محفظة يد صغيرة، تضم شريط فيديو. ومجموعة صور لحفل الزواج. وقلم روج. ونقود ورقية، كان الشريط تسجيلا للحفل تنتصب مع زوجها في الكوشة: والجميع

يتحرك ويرقص، وجاء صوتها في العاشرة صباحا وأنا في العمل؛ عرفت أنها الابنة الثالثة: تسألني هل شاهدت الشريط وتفحصت الصور؛ ثم قالت: أنا صاحبة الفستان الأحمر والشعر المتجعد قلت: أبرعهم بالرقص وأكثرهم لغطا قالت: وخطيبي أيضا رقاص وعازف عود بارع وزواجي في الصيف.

طلبت مني إعادة الصور والشريط وإنها تنتظرني بعد العشاء خلف باب المنزل، ترددت وقررت أخذ بعض الصور كذكرى أوقفت سيارتي في شارع محاذ لشارع المنزل، اقتربت من الباب الموارب دفعته ودخلت العتمة تلف المكان ليصلنا صوت أفراد في الدرج، فتحت باب جانبي وسحبتني خلفها وفي ظلام المكان همست بالسكون وعدم القلق ومعها شعرت بأنها تجرني لمغامرة لم أرتب لها.

تفجرت اللحظة شعرت أنها اعتادت المداعبة ولثم عنقها لم يقلقها التصاقي قالت: وقد تخلصت من نزقي. خطيبي رسم معالم جسدي قبل كتابة كتابنا؛ ولما تمت الكتابة لم أشعر بطعم لوجوده غير أنه لن يتوقف هنا فكلي له، تكرر اتصالها لطلب العون في تأمين تجهيز حفل زواجها ولما رحلت جاء اتصالها من مدينة في الشمال الغربي حيث يعمل زوجها العسكري.

بعد عدة أشهر جاء اتصال الأخت الكبرى: تسعى لتسجيل

ابنتها في المدرسة الابتدائية، بعد فشلها في قبول أوراقها بالمدرسة التي تعمل بها، فكان أن اتفقنا بعد أخذها لمراجعة إدارة التربية والتعليم وقد وعدني أحد مسؤولي التعليم بالمساعدة مع بداية العام الدراسي؛ إن السن لا يسمح ولكن في التمهيدي.

كانت العاشرة صباحا عندما أوصلتها لمقر عملها عرفت أنها لم تتناول إفطارها فتوجهنا لمطعم لم نجد الإفطار المطلوب، فاتجهنا شمالا خارج المدينة وفي محطة محروقات تضم مطعما وغرف مسافرين بضاحية العرفاء، ومع الحلم الخافق الذي لم يكن لي؛ تجاوزت أفكاري القديمة ففقدنا كل شيء؛ كانت تقاوم في استسلام غبطة العطاء ولما عدنا قالت: ويلي أنا المسكينة، كنت صغيرة أتدحرج كحبة خردل، ولقد كنت العاصفة الهوجاء التي اقتلعت أشجاري: ترجلت عند باب مدرستها.

قررت الرحيل: إذ لم يتبق لي عذر بعد وفاة والدتي؛ الوتد الذي كنت أعلق فيه وبه كل أفعالي وقناعتي بما أنا عليه فهي القربان والفداء وسيدة الحب الإنساني، ورمز الوفاء وقد رفضت مطلب من حولها طلب الطلاق من زوجها الغائب منتظرة أوبته سالما، خالي زوج كل بناته العشر واستثناني في الاختيار؛ خالي الثاني حاصر ما تبقى لي من إرث في منزل أشارك والدتي تملكه

لسكنى ابنه المقعد، خالتي رفضت استقبالي بعدما خالفتها في مكان تقبل العزاء في والدتي، أسرة والدي الذي اختفى وأنا في العاشرة والمقيمة في قرية شرق مدينة الطائف نسيت اسمها، لم تهتم بحالتي.

حطت رحالي في مدينة الزلفي الساكنة وسط الرمال، ضائع في زمن تنساب دقائقه رغم الامتلاء أجدها في حالتي فارغة؛ وبينما أنا في مكتبي أغالب النوم وأقاوم الفراغ رن الهاتف كان مدير القسم لما دخلت غرفته سألني عن معرفتي ببعض الأسر في مدينتي القديمة، وذكرني بالأخوات الثلاث قال إنه زوج الرابعة وإن أمها هنا وتريد مقابلتي، جاءت الأم للزيارة ومراجعة أحد المستشفيات حيث تعمل ابنتها الرابعة أخصائية تغذية.

وأنا عائد لسكني: شعرت أن سوء الحظ يلاحقني فقررت الرحيل طلبت إجازة خمسة أيام؛ راجعت المركز الرئيس بالرياض طالبا النقل إلى الرياض؛ ولما انتهت أيام الإجازة عدت للعمل، كان المدير مسافرا ليأتي اتصال الأم من الطائف: إنها مرهقة وينوء كاهلها بالهموم بعد موت أبي عيالها، وعودة ابنها الغائب ثمان سنوات والمسافر للدراسة في أمريكا العودة وان كان خالي الوفاض، ووجد عملا في شركة سيارات بجدة، وأنها ترى انتقالها إلى جدة التي يدرس ابنها الأصغر في جامعتها. وأن

ابنتها الصغرى والتي رزقت بابنها الأول منذ يومين تسأل عني، لم أهتم بكل هذه الأخبار ولكن ليأتي اتصال البنت الرابعة: صوتها المتوتر. دائما كان حاداً وقلقاً؛ وأنها تنتظرني في التاسعة صباحا أمام قسم العيادات الخارجية للمستشفى الذي تعمل به.

عرفت أن لها ابنة وحيدة ألحقتها بروضة أهلية تابعة للمستشفى، وأن زوجها في رحلة عمل لمدة ثلاثة أيام في الرياض؛ وأنها تشعر أنها بحاجة لبعض المعلومات عن أسباب طلاق أختها الكبرى بعد إشاعة إن زوجها اكتشف علاقتنا، وفي أثناء الحديث عرفت أن الزوج وجدها في غرفة الجلوس مع أحد سكان العمارة من جنسية أسيوية يعمل فنياً في شركة الكهرباء. بعد عودته المفاجئة صباح يوم جمعة، هنا قلت: وأنت.. أغمضت عينيها؛ شعرت أنه علي قبل أن أنفذ تعميد النقل الذي استلمته بالأمس وتكون نهايتي في مدينة أخرى، شرب ماءها فكان أن اتجهت إلى منزلها أعرف أن ابنتها الآن في الروضة. وأن زوجها مسافر. وأن عاملة المنزل المنشغلة بمهامها لن يقلقها حضوري.

لم أهتم بارتباكها أوقفت السيارة أمام مدخل المنزل ووقفت بجوارها وهي تفتح قفل الباب سرت معها للداخل، كان حراك الخادمة يصل من المطبخ؛ هاجس اللحظة فتح باب الاطمئنان

فشعرت بالسكينة التي معها انكشف الحجاب، جسدها الأجمل بين أخواتها بيضاء مائلة للشقرة رشيقة القوام، كانت وهي تتوقى تساقطي تنتفض كمن به مس تحلب عرقها ويتغير لونها أخذت تبكي بينما أسراب طير النورس تحلق؛ تركتها تلملم ذاتها المبعثرة. وترتق شق مسافة متاهة المجاز التي أضاعت فيه ظلها، وجدت العاملة السمراء تنظف إحدى نوافذ صالة الجلوس من بقايا الغبار الذي اجتاح المدينة بعد منتصف الليل: تابعتني بنظرها حتى أغلقت الباب. &

نهاية الحلم

جاء اتصال رابعة في التاسعة صباحا تخبرني أنها استأذنت من العمل وفي انتظاري؛ وأنا أكمل مسوغات صرف حقوق مراجع نفذ عقد عمل نقل طلاب هجرة نائية إلى مدرسة قروية بالمكتب؛ تطلب مساعدتها في ترحيل خادمتها التي اكتملت إجراءات سفرها عبر مطار جده؛ أكملت أوراق المراجع واستأذنت من رئيس القسم الذي اعمل فيه متجاوزا فزعي وضعفي ناسيا نوبات الضياع.

وجدتها تنتظر مع ابنتها فينوس ذات السنوات التسع وعاملة المنزل، ولما أغلقنا أبواب السيارة وأدرت المحرك تذكرت محفظتها التي بها جواز سفر العاملة وبطاقة الطائرة أوقفت المحرك؛ ورافقتها بالمصعد جاءت البداية ملامسة عبثية وبعد إغلاق باب الشقة وجدتها كما المن والسلوى؛ الوالدة التي كانت تنتظرنا بمنزل الأسرة جلست بالمقعد الأمامي بجواري وفينوس بيننا والخادمة خلفي وهي خلف والدتها؛ شعرت أن علي استخدام كمية معينة من العقل والانفصال عن العالم الحسي والاندغام في الوهم؛ لكن ما كان أكثر سوءا هو أنني كنت أتصنع

البراءة، ولما اجتزنا طريق جبال الهدى وبدت معالم مكة قالت الأم: (لو سمحت من طريق الخواجات مور فيوز غير مسلمة) في مرآة السيارة كانت مور تحدق في مبتسمة؛ وامتد معه طريق الخواجات لتستقر فينوس في حضني لمشاركتي قيادة السيارة؛ كانت هائلة في العمق الرمادي الصامت وتورق التفاصيل ندفع الغيمة لانهمار الرغبة التي نحتت ذاتين إلى واحدة؛ شعرت بالانتشاء من رائحتها التي أشعلت النار والمشاعر أدركت ذلك فطبعت قبلة على خدي معها (قالت الأم عيب يابت خلي عمك يشوف الطريق).

ونحن ندخل جدة قالت رابعة: (ممكن توصل أمي لبيت خالتي ترتاح فيه حتى تسافر ميري) لما ترجلت الأم قررت فينوس مرافقتها آخذة معها الرائحة الطيبة وتوسل مغفرة أمطرت الحميمة التي لا أذكرها؛ معه انتقلت رابعة للجلوس بالمقعد المجاور مكان أمها، وفي الطريق اقترحت أن نتناول الغداء في فندق العطاس بأبحر مع ابتسامة فيوز التي وجدتها في المرآة أمامي فتوقفت عن النقاش وأنا أتجه لأبحر.

وثلاثتنا نتناول غداء سمك بمطعم الفندق اقترحت استئجار غرفة للراحة والخصوصية فلم تعترض رابعة؛ تأخرت في المقهى أتناول وجبتي اليومية من الجراك المعطر وأمواج البحر

تتدافع أمامي؛ توقفت عند اللحظة الحاضرة إلى درجة موجة فراغ حياة داخلية منغلقا كليا على نفسي القلقة غير أن رابعة فتحت ثغرة في هذه السكينة معها كانت التساؤلات فجاء الاضطراب وحلقت في الفضاء علامة استفهام، معها جاءت مور فيوس لتخبرني أن موعد رحلتها أزف.

بعد إكمال فحوصات أوراق السفر ودفع رسوم زيادة وزن العفش انتظرت دخولها صالة المغادرة ولما اختفت عدت لسيارتي واتجهت للفندق؛ قررت شرب براد من الشاي فدخلت المقهى انتصبت أمامي الطاولة والشيشة التي مزمزت شيئاً من عبقها شدني المشهد للجلوس وأحضر النادل براد الشاي ورأس جراك جديد.

مع أذان المغرب صعدت للدور الثاني بالفندق متجها إلى الغرفة التي استأجرت، قرعت الباب أكثر من مرة مما لفت نظر عامل النظافة الذي جاء وقال (بابا مافيه أحد الغرفة فاضية) وفتح الباب لم يكن هناك أحد.&

المتاهة المقدسة

بعد ثلاثة عقود جاء الرد بزواج ابنه من حفيدة خالته؛ التي تسبب رفضها تزويجه إحدى بناتها لفقره ويتمه وعلو نسب أسرة زوجها في موت والدته، جاء الحفل مبهجا رفض الدخول مع العريس قسم النساء وغادر القاعة؛ دخل منزله لم يكن هناك أحد، جلس على أحد مقاعد صالة الجلوس وانخرط في البكاء.&

ولكن

هذه الليلة لم يفتح الباب، وفي الليلة الثانية تعالت الموسيقى وعبرت الأضواء الباب، ولما دخلت لم يكن هناك باب ولم تكن هناك الموسيقى ولم تكن هناك الأضواء، إنما سيارة شرطة.&

العشاء الأخير

طلب مني أخي العمل خادما في منزل مديره الجديد أصب القهوة للضيوف، وأأمن طلبات الدار. وذات يوم جاء شقيق الرجل الذي أعمل عنده في طريقه للدراسة بالخارج ليجدني فريسة سهلة ينشغل في تمزيقها، الخوف والسطوة التي فرضتها اللحظة كانت معه؛ ومن هنا جاء صمتي الذي معه شعرت إني هلام.

وفي يوم كانت بمنزل المدير حالة طارئة فرضها حضور والدته للإقامة عنده، فكلفت بتأثيث غرفتها ومعه تنامى غم في داخلي معه تصبب عرقي وارتعشت أطرافي، عرفت أنها لاحظت تهيجي فجلست على طرف الفراش، وأخذت تناقشني فيما لمحته.

لم يلاحظ أحد دخولي غرفة الأم التي وجدت في ما يشعرها بالحياة، ولما سافرت للجلوس مع ابنتها التي جاءت ولادتها بعملية قيصرية؛ دست في كفي بعض النقود ومفتاح الغرفة.

بعد عصر يوم ماطر وقد أكملت تنظيف غرفة الأم تمددت

في الفراش، واستغرقت في النوم لأتنبه على زوجة المدير تقف على رأسي فطوقني الرعب، زكمت أنفي رائحة العطر فلم أقاوم رغبتها.

بقيت في الفراش أسترجع ما حدث وأنا أجمع أطرافي المتناثرة؛ وأنا أغلق باب الغرفة تردد اسمي بين الجدران، تتبعته كانت الأم تجلس على أحد مقاعد طاولة الأكل بالمطبخ؛ أشارت للكرسي المقابل حتى أجلس وأشاركها العشاء.&

الحضور

غرقت حتى أذني بشؤونها أثناء حديث الأصدقاء في المقهى؛ وفي الثانية صباحا كانت تلوح بكفها لتشاركني بقية الطريق؛ وأنا أفتح باب المنزل تلفت حولي فلم أجدها.&

الريح*

كنت مشغلا بخفة ما أرى حولي، عندما أمسكت بكفي لأصعد معها درج الريح، صدمني السكون وأنا أشعر بوجعي، ففقدت توازني فإذا بي أسقط بين يدي الهباء.&

*في مجموعتي الفناء شعور لايعرف نص بعنوان الريح

صدر للقاص

١) البحث عن ابتسامة الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ط ٢ الناشر الدار السعودية / ١٩٨٥م ط ٣ نادي القصيم الأدبي ١٤٢٩

٢) حكاية حب ساذجة الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ط ٢ الناشر الدار السعودية ـ جدة ط٢/ ١٩٨٥م

٣) مساء يوم في آذار الناشر شركة تهامة-جدة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

٤) انتظار الرحلة الملغاة الناشر نادي القصة السعودي ـ الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

٥) الزهور الصفراء الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ط٢ دار الفارابي ٢٠١٠

٦) قالت أنها قادمة الناشر الدار السعودية ـ جده ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٧) الغريب الناشر مجلة الثقافة ـ دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

٨) الانحدار الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف

١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ط٢ دار الفارابي ٢٠٠٩
٩) الرجل الذي مات وهو ينتظر الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م
١٠) الطيب الناشر مكتب الصحافة العربية - القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
١١) الحملة الناشر نادي جازان الأدبي - جازان ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
١٢) الغياب الناشر أصوات معاصرة - شرقية - القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م
١٣) المحطة الأخيرة الناشر دار الفارابي ـــــ بيروت _ ٢٠٠٨م
١٤) فرشاة اله الرعدPDF الناشر أي – كتب أو غوغل بوكس / الطبعة الالكترونية الأولى ٢٠١١
Published by E-Kutub.com
١٥) النسخة الأولى النشر نادي الطائف الأدبي / ١٤٣٢ – ٢٠١١
١٦) فرشاة آلة الرعد / دار النابغة للنشر والتوزيع الأسكندرية – الطبعة الأولى ١٤٣٥ / ٢٠١٤ الطبعة الورقية
١٧) الفناء شعور لا يعرف / دار النابغة للنشر والتوزيع

الأسكندرية – الطبعة الأولى ١٤٣٥ -٢٠١٤
١٨) الفناء شعور لايعرف – الطبعة الألكترونية الأولى PDF– مطبوعات أي- كتب – لندن- ٢٠١٤
١٩) اوراق من مذكرات عسكري هارب (النديم) رواية BDF ٢٠١٣- ١٤٣٤ /http://www.e-kutub.com
٢٠) تداعيات انثى تصالحت مع جسدها – نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٣٦ - ٢٠١٥
٢١) مرآة الصحراء (قصص) كتاب مشترك مع القاص فؤاد نصر الدين حسين – جروب القصة القصيرة جداً بالأسكندرية – ٢٠١٥ / ١٤٣٦

الفهرس

الجميلة ---------- ٠٠٥

استشارة ---------- ٠٠٦

جرح ---------- ٠٠٧

حدث في حي الشرقية ---------- ٠٠٨

لم يعد بالبيت أحد. ! ---------- ٠٠٩

التيه ---------- ٠١١

ببساطة ---------- ٠١٢

سر العين ---------- ٠١٣

قواقع الجزر المهجورة ---------- ٠٢٠

النفس الضالة ---------- ٠٢٤

أيها السرمَديٌ لا تقاوم الصحراء ---------- ٠٢٥

ضل خلف الزجاج ---------- ٠٢٦

لهد ---------- ٠٢٧

ولادة أخرى تستدعي البكاء ---------- ٠٢٨
غضب ---------- ٠٣٣
نقاط تحول دفعتني للتوقف ---------- ٠٣٤
السلوان ---------- ٠٣٩
رفقة ---------- ٠٤٠
إلياس ---------- ٠٤١
الجذمور ---------- ٠٤٢
المتأنقة ---------- ٠٤٣
ملهاة ---------- ٠٤٨
انبعاث الذاكرة ---------- ٠٤٩
غضف ---------- ٠٥١
أجساد عفنة ---------- ٠٥٢
شفرة الكون ---------- ٠٥٣
ثمالة الزمن ---------- ٠٥٤
عندما غاب الأفق ---------- ٠٥٥

نزف حلم ---------- ٠٥٦
فتنة الأصدقاء---------- ٠٥٧
طائر الفردوس ---------- ٠٥٨
خطوط قوس قزح ---------- ٠٦٤
السائق الياس ---------- ٠٦٧
السقوط ---------- ٠٨٢
المسبح ---------- ٠٧٣
خطوة ---------- ٠٧٤
تلبس ---------- ٠٧٥
رخص---------- ٠٧٦
لما عصف اللهب---------- ٠٧٧
مشاركة ---------- ٠٧٨
المسطح---------- ٠٧٩
خيانة الغيم ---------- ٠٨٠
التصحر ---------- ٠٨١

الجدار الفاصل---------- ٠٨٢
عندما اكلت حواء التفاحة ---------- ٠٨٦
المذبح ---------- ٠٨٧
هذا الفصل لم اكتبه ---------- ٠٨٨
قشعريرة يقظة---------- ٠٩٠
تصرف مشين ---------- ٠٩١
تراكم الثلوج ---------- ٠٩٢
الراوند---------- ٠٩٣
غبش---------- ٠٩٤
عصف---------- ٠٩٥
هذيان ---------- ٠٩٦
ابتسامة---------- ٠٩٧
الق---------- ٠٩٨
المتاهة---------- ٠٩٩
جلنار ---------- ١٠٠

ترحل لحظات لالون لها ---------- ١٠١
نهاية حلم ---------- ١٠٨
المتاهة المقدسة ---------- ١١١
ولكن ---------- ٠١٢
العشاء الأخير---------- ١١٣
الحضور ---------- ١١٥
الريح ---------- ١١٦
صدر للقاص ---------- ١١٧
الفهرس ---------- ١٢١